المستشار
الدكتور علي جريشة

(٧)
أقيموا شريعة الله

نحو نظرية للتربية الإسلامية

ليس بالتكفير والتجهيل تربى الأجيال

يطلب من :
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون : ٩٣٧٤٧٠

كتب للمؤلف

١ ـ شريعة الله حاكمة ٠٠ ليس بالحدود وحدها ٠

٢ ـ أصول الشرغية الاسلامية ٠٠ مضمونها وخصائصها ٠

٣ ـ مصادر الشرعية الاسلامية ٠٠ مقارنة بالمصادر الدستورية ٠

٤ ـ أركان الشرعية الاسلامية ٠٠ حدودها وأثارها ٠

٥ ـ القرآن فوق الدستور ٠٠ ومعه ملحق لاعلان دستور اسلامى٠

٦ ـ دعوة الله بين التكوين والتمكين ٠

٧ ـ نحو نظرية للتربية الاسلامية ٠٠
ليس بالتكفير والتجهيل تربى الاجيال.

٨ ـ منهج التفكير الاسلامى ٠

تطلب من : مكتبة وهبه

١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين ـ ت ٩٣٧٤٧٠



(٧)

أقيموا شريعة الله

المستشار

الدكتور علي جريشة

الاستاذ بمعهد اعداد الدعاة بمكة المكرمة ، وبالدراسات العليا بجامعة محمد بن سعود الاسلامية

نحو نظرية للتربية الإسلامية

الناشر

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م

دار التضامن للطباعة
٢٢ شارع سامى ـ ميدان لاظوغلى
القاهرة ـ تليفون ٣٠٥٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعـد ...

تشغل التربية حيزا كبيرا من اهتمامات الأمم ، خاصة تلك التى تصبو الى مكانة لها عزيزة ، ذلك أن بها تكوين الأجيال ، وبنـاء الأمم .

ولقد فطن لذلك المفكرون والفلاسفة منذ عهود سحيقة ، فتنادوا بالتربية ، ورغبوا الى الفضائل .. بيد أن الأمر لم يكن فى بدايته كذلك .. بل كان الانسان يتلقى تربيته فى بساطة من البيئة التى حـوله .

وتطور مفهوم التربية على نحو ما سنشير .

عرفت البشرية الأديان ، وتلقت عن « الرب » سبحانه وتعالى التربية الحقة ، وتكاملت صورة التربية وتسامت مع آخر الرسالات وخاتم النبوات ، فكانت فى صورتها الوضيئة وأصولها الثابتة ، وبنى علماء المسلمين على هذه الأصول ، ومرت التربيـة بالمفهوم الاسلامى بأطوار عديدة .

وتناهى الأمر الى العصر الذى نعيش فيه :

وتعرضت أمم الاسلام بعد الحروب الصليبية التى عاشت وعاشت قرونا ، تعرضت لغزو تربوى خطير استهدف أعز ما تملك هذه الأمة ... استهدفت دينها وعقيدتها ومثلها وأخلاقها بعد أن اكتشف الصليبيون أن هذا كله مصدر عزتها وسر صمودها وانتصارها، ونزلوا فى ذلك على ما تواصى به لويس التاسع بعد أسره فى المنصورة وفكاكه من الاسار ، وما تبع ذلك من وصايا آثمة انتهت الى وصية زعيم المبشرين بالقدس عام (١٩٣٥) على ما سنشير بمشيئة الله .

ومع بشائر فجر جديد ، تتململ فيه الأمة الاسلامية شوقا الى النور الذى أضاء أول مرة ربوع الجزيرة ، وأضاء من بعدها ربوع العالمين – تنظر الأمة من خلال كتابها – مصدر النور – الى المنهج الذى ربى الأمة الأولى لتعود اليه مرة أخرى ، عله يعود اليها ما كان لها من عز وسؤدد .

بيد أنها فى صحوتها الجديدة تستمسك بأصالتها ، لكنها لا تغلق عقلها دون الجديد اذا لم يتعارض مع أصولها ، ووافق روح شريعتها ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

ولقد سبقنا الى هذا الميدان فرسان عديدون حملوا القلم خوضا وتحليلا وتاريخا ، ولقد قسمهم كاتب فاضل الى ثلاثة أقسام :

قسم ركز على المنجزات والمؤسسات التربوية والنظم الادارية التى كانت متبعة فى هذه المؤسسات وذكر أمثلة خمسة لهذا القسم •

وقسم كتب عن مطالعات فى كتاب الله وفى سنة رسوله لكنه لم يغط أبعاد النظرية التربوية فلم يبرزها ، وذكر فى هذا المجال مؤلف الأستاذ محمد قطب ، وبحوثا ومحاضرات فى مؤتمرات تربوية، وصفها بأنه غلب عليها الأسلوب الانتقائى أو الخطابى •

وقسم ثالث عبارة عن تكرار ونقول ومقتبسات وصمها بأن الغايات منها فى أغلبها غايات تجارية (١) •

* * *

وفى هذه المحاولة المتواضعة نحاول باذن الله أن نتلافى النقد السابق فى اتجاه الى رسم خطوط نظرية تربوية اسلامية متكاملة بمشيئة الله نتناول فيها :

---

(١) الدكتور ماجد عرسان الكيلانى فى مؤلفه القيم « تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية » الطبعة الثانية ١٩٨٣ — ويبدو أن الاستاذ الجليل لم يكن قد اطلع على مؤلف قيم للاستاذ النحلاوى « أصول التربية الاسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع » وبالتأكيد فان طبعته الاولى (١٩٧٨) لم تدرك مؤلف الاستاذ النحلاوى (١٩٧٩) ، لكن الطبعة الثانية بالتأكيد أدركتها تاريخا (١٩٨٣) وان لم تدركها واقعا ، وفى رأينا أن هذا الكتاب يخرج عن التقسيم •

الباب الأول : تطور مفهوم التربية .

الفصل الأول : مفهوم التربية عبر العصور القديمة والحديثة .

الفصل الثانى : أطوار التربية الاسلامية .

الفصل الثالث : الغزو التربوى للعالم الاسلامى .

الفصل الرابع : أهمية التربية الاسلامية .

الفصل الخامس : تعريف التربية الاسلامية .

الباب الثانى : أصول التربية الاسلامية .

الفصل الأول : الأسس الفكرية - أو نظرة الاسلام الى الانسان والمجتمع .

الفصل الثانى : الأسس العملية أو التربوية .

الفصل الثالث : مصادر التربية الاسلامية : القرآن والسيرة والسنة ، مصادر أخرى .

الباب الثالث : أساليب التربية الاسلامية ووسائلها .

الفصل الأول : الوسائل : التعليم - الاعلام - البيت - المسجد - المجتمع المسلم .

الفصل الثانى : الأساليب : القدوة - الحوار - الحكمة والموعظة الحسنة - القصة - الحدث .

ونختم باذن الله هذا البحث ، باشارات سريعة الى خصائص التربية الاسلامية وأهدافها ، باعتبارها استنباطا من العرض السابق لا يحتاج الى افراد مباحث خاصة له ٠

* * *

ولئن كنا قد بذلنا جهدا مضنيا فى عرض الخطوط السابقة ، فانا نحسبها محاولة على طريق صحيح ٠٠ يكشف عن كنوز الاسلام فى هذا المجال ٠

ونرجو أن تتلو هذه المحاولة محاولات حتى يظهر الحق ويتبين الرشد وسط كتابات كثيرة بعدت عن حقيقة التربية الاسلامية كما جاء بها القرآن والسنة ٠

كما نرجو أن يستفيد منها – باذن الله ـ شبابنا السائر فى طريق الله ليقيم بناء الاسلام على أساس قويم ٠

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

القاهرة فى ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠٦ هـ

٢٥ فبراير ١٩٨٦م ٠

المؤلف

* * *

الباب الأول

تطور مفهوم التربية

- مفهوم التربية وتطور هذا المفهوم
- أطوار التربية الاسلامية
- الغزو التربوى للعالم الاسلامى
- اهمية التربية الاسلامية
- تعريف بالتربية الاسلامية

تطور مفهوم التربيــة

● توطئــة :

مرت التربية **بصفة عامة ـ شأنها** شأن أى كائن بأطوار عدة فهى فى بدايتها بدائية ..

ثم هى مع ارتقاء البشرية فكرا تزداد رقيا .

ثم تعود فتنتكس مع انتكاس البشرية ، وسوف نسوق الأمثلة على ذلك بمشيئة الله .

أما التربية الاسلامية

فهى تستمد أصالتها من مصدرها الأصيل : الوحى .

وعلى ذلك تنبنى اجتهادات المجتهدين .

وقد مر الفقه ، والفكر ، كذلك بأطوار ...

وتعرض العالم الاسلامى لغزو تربوى خطير أشرنا اليه اجمالا وسوف نشير اليه تفصيلا .

ثم نشير الى أهمية التربية الاسلامية فى مواجهة هذا الغــزو من ناحية ثم باعتبارها منهج البناء والتكوين من ناحية أخرى .
والله المستعان .

* * *

الفصل الأول

مفهوم التربية عبر العصور
القديمة والحديثة

١ – التربية فى العصور القديمة

عرف الانسان البدائى التربية على النحو البدائى الذى عاشه ·
فهو يلقن طفله ، كيف يأكل ، وكيف يمشى وكيف يرتزق ···
وهو فى هذا كله بسيط كل البساطة ··
بسيط فى حياته ، بسيط فى وسائله ، بسيط فى غاياته ، وأهدافه،
والبيت هو المدرسة الأولى ··
والطبيعة هى المدرسة الثانية ··
والقبيلة والمجتمع الصغير هو المدرسة الثالثة ·
ونوعا ما تميزت بعض الحضارات القديمة بألوان من التربية :

(أ) فالحضارة الصينية :

عرفت منذ كونفوشيوس خمسة أنظمة لعلاقات عدة :
بين الملك والرعية ··

بين الزوج والزوجة ..

بين الأخ وأخيه ..

بين الأقارب والولد ..

بين الصديق وصديقه ..

وقالت بخمس فضائل : العدل ـ النظام ـ الحكمة ـ الأمانة ـ الاحسان (١) .

وعلى أساس من هذه التعاليم قامت التربية الصينية القديمة ، ولا يزال كثير من آثارها حتى اليوم (٢) ، وقد اتسمت هذه التربية بالمحافظة .

(ب) التربية اليونانية :

لئن اتسمت التربية الأولى بالمحافظة فقد اتسمت هذه بالمرونة والتطور ، وقامت على حرية الفكر والابتكار ، وكان من أساتذتها : سقراط (٤٦٩ ـ ٣٩٩) ، أفلاطون (٤٢٠ ـ ٣٤٨) ، أرسطوطاليس (٣٨٤ ـ ٣٢٢) قبل الميلاد (٣) .

---

(١) تاريخ التربية لعبد الله المشنوق ص ٩ ، ١٤ ، ١٥ ـ رائد التربية العامة عبد الحميد فايد ص ١٧ ـ ٢١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) من أقوال سقراط : المعرفة هى الفضيلة .
ومن أقوال أفلاطون : التربية اعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الكمال ، وكل ما يمكن من الجمال .

=

وعرفت مدرستان :

مدرسة اسبرطة القائمة على الاهتمام بالرياضة والشجاعة والبطولة .

ومدرسة أثينا القائمة مع ذلك على استقلال الفرد والاهتمام بالعائلة ، واعتبار التربية من واجب العائلة لا الحكومة .

(جـ) التربية الرومانية :

مرت التربية الرومانية بمرحلتين :

أولاهما – قبل امتزاجها بالتربية اليونانية وكان أظهر ما فيها ابتكار الوسائل العملية لتطبيق الآراء النظرية ، فالبيت هو المعهد التهذيبي الرئيسى ، والوالدان يقومان بالدور الرئيسى ..

ثانيهما – بعد فتح اليونان – قامت مدارس من طراز يونانى غايتها اتقان الأدب والخطابة وفنون الكلام ، ودخلت المبادىء التهذيبية اليونانية – وكان هدف التربية الرومانية تكوين المواطن الصالح ثم مرت التربية الرومانية بفترات انحدار فقدت فيها الوسائل

= ومن أقوال ارسطو : ان غاية الفرد فى حياته الخاصة وفى علاقته مع اخوانه هى السعادة .

وقال : ان الفضيلة لا تنشأ فقط بالمعرفة بل تتوقف على ارادة المرء . (المرجعان السابقان) .

العملية مع انتشار الحكم المطلق المستبد ، ثم غلبت عليها التربية النصرانية من القرون الوسطى (٤) .

(د) التربية المصرية القديمة :

سبقت هذه فى ـ ظننا ـ المدارس السابقة فضلا عن أنها بلغت شأوا بعيدا .

فقد تقدمت الصناعة وازدهرت الزراعة من عهد الدولة الوسطى (٢٣٧٥ ـ ١٨٠٠ ق م) وفيما بين عامى (٤٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ق م) تقدمت الصناعة والمواصلات ، وصاحب ذلك كله ازدياد المهارات فى الفن والعمارة والنحت والرسم والكتابة والأدب والفنون . وانتشرت المدارس قبل عام (١٠٠٠ قم) ، وكانت تقوم بتعليم أبناء الطبقة الغنية أما عامة الشعب فكانوا يتعلمون بالطريقة البدائية وبلغت التربية الحرفية مستوى فنيا عاليا .

وانتشرت القراءة والكتابة ـ وتمثال « الكاتب المصرى » الشهير آية على ذلك وعلى الاهتمام بالقراءة والكتابة ، واستخدم المصريون

---

(٤) من مربى الرومان :

شيشرون (١٠٦ ـ ٤٣ ق م) ، وسينيكا (٣ ـ ٦٥ ب م)، كونتليان (٣٥ ـ ٩٥ ب م) ، . (المراجع السابقة .

وسائل ايضاح ومشوقات عملية (٥) ، وبناء الأهرام والمعابد الكائنة فى الأقصر وأبى سنبل ـ وتحنيط فرعون مصر وغير ذلك من الآثار التى لا تزال حتى اليوم ـ دليلا على السبق فى فروع كثيرة من التربية التى سادت فى تلك الأيام والتى بلغ المصريون فيها شأوا لم تبلغه أمة أخرى (٦) ٠

بيد أن آثارا أخرى تدل على أن التربية عند المصريين كان فيها المعنى الروحى فبعض تلك الآثار تشير الى الدار الآخرة ، بل ان تشييد الأهرامات نفسها يشير الى ايمان المصريين بالبعث ٠

ولقد كان سبق المصريين فى مجال التربية وتقدمهم فيها سابقا على الأمم الأخرى (٧) ٠

* * *

---

(٥) راجع فرنسيس عبد النور ـ التربية والمناهج ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ص ٢٢ ـ ٢٥ ٠

(٦) بيد أننا لا نغادر هذه النقطة حتى نسجل أن بناء الأهرام له دلالة أخرى فى مجال التربية : إنه دليل الاستبداد فى جانب الملوك وجانب الذلة فى جانب الشعب ٠٠ ان تسخير شعب بأسره على مدى عشرين عاما ليبنى مقبرة لملكه ، فيه من القهر والاستبداد ما فيه ، وفيه من الخضوع والذلة كذلك ما فيه ٠ والله المستعان ٠

(٧) راجع فرنسيس عبد النور : المرجع السابق ٠

٢ – التربية فى العصور الوسطى

لئن سادت فى الفترة السابقة التربية اليونانية وحدها أو غازية للرومانية رغم الغزو الرومانى العسكرى ، فلقد قامت تلك التربية فى أصلها على أســاس وثنى انعكس فى اهتماماتها بالآداب والفنون الجميلة ، فضلا عن تأثرها بالتقسيم الطبقى للناس ٠

فلما انتشرت ديانة المسيح عليه السلام – فى القرون الوسطى – غلب على التربية طابع التطهير الروحى ، والاتجاه الخلقى ٠٠ وان بالغت كثيرا فى هذا الاتجاه الى حد رفع شعار « تطهير الروح باذلال الجسد » وانتشرت الأديرة تطبيقا لذلك ، وعـرف العـالم « رهبانية ابتدعوها ، ما كتبها الله عليهم » ٠

وتأثرت التربية بعد ذلك بالمنطق اليونانى والجدل ، ثم تأثرت بمبادىء الاسلام التى تسللت خلال الحروب الصليبية ومن خلال الأندلس ومع القرن الثالث عشر بدأت تباشير « النهضة » والاتجاه الى التربية الانسانية (٨) ٠

* * *

٣ – التربية فى العصور الحديثة

يظهر على التربية الحديثة الملامح الآتية :

١ – اهتمامها بالجانب العقلى أو الثقافى أكثر من اهتمامهـ

---

(٨) انظر المراجع السابقة ٠

بالجانب الخلقى ... وذلك نتيجة تأثرها بنظريات « دارون » فى النشوء والارتقاء ، ونظـريات « فرويد » حـول النفس البشـرية واتجاهه الى التفسير « الحيواني » لتصرفات الانسان ونظريات « جان بول سارتر » ومن سار في طريقه الي الوجودية واطلاق طاقات الشباب بغير ضوابط فضلا عن تقبل المجتمع للكثير من الاوضاع « غير الخلقية » التى لم يكن يتقبلها من قبل وانسلاخه من الأديان انسلاخا حقيقيا نتيجـة فصل الدين عن الدولة وضعف سلطـان الكنيسـة .

٢ ـ حرصها على « التكيف » مع البيئة (٩) .

واعتبار ذلك هدفا رئيسيا من أهداف التربية ، فالمواطن الصالح هو المواطن الذى يتكيف مع البيئة ، والتربية الناجحـة هى التى تعمل علي تكييف المواطن مع البيئة . واذا كانت البيئة على النحو الذى ألمحنا ، فلنا أن نتصور التربية التى تؤهل لها !

٣ ـ قيامها على أساس « عنصري اقليمى » .

اما وطنى ..

أو قومى ..

---

(٩) فرنسيس عبد النور ، التربية والمناهج ، جورج كاونتس ـ مشاراليه فى المرجع السابق .

ومثل الأول اهتمام التربية فى فترة الحكم النازى باثارة نعرة « ألمانيا فوق الجميع » .

وكذلك فعلت الفاشية فى ايطاليا ، وسار على نهجهم من قالوا « مصر فوق الجميع » أو « مصر للمصريين » ... الخ .

ومثل الثانى اثارة القوميات الطورانية ، والعربية ، وتسخير التربية لصالح تلك النعرات .

٤ – ومع ذلك لا تعدم التربية الحديثة اشارات الى الحفاظ على التراث الروحى (١٠)، وأخرى لبعض الجانب الانسانى ، فضلا عن اهتمامها بالوسائل العملية القائمة على الحصول على تنمية القدرات والمهارات المختلفة (١١) .

ومن رجال التربية الذين لهم أثر واضح فى التربية الحديثة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين :

– بستالوتزس (١٧٤٦ – ١٨٢٧) :

وأهم ما يتسم به أنه جعل التعليم الدينى والخلقى فى صدر قائمة الأهداف التربوية ، وقدم نظريته فى الفرد باعتباره مكونا من ملكات منفصلة جسمية وعقلية وخلقية (١٢) .

---

(١٠) جورج كاونتس ، فرنسيس عبد النور – المرجع السابق .
(١١) فرنسيس عبد النور – المرجع السابق .
(١٢) Nelson L. Bossing — Principles of Secondary Education — p. 17.

٢ ـ فروبل (١٧٨٢ ـ ١٨٥٢) :

اعتبر هدف التربية مساعدة الطفل للكشف عن قواه الداخلية ليتمكن من الاتحاد الروحى مع الله ٠٠ لتتحقق ارادة الله فى الطبيعة الانسانية وقد أثر فروبل فى الاقلال من الصرامة مع الاطفال ، وأصبحت آراؤه أساسا للمدرسة المهتمة بتربية الطفل (١٣) ٠

٣ ـ جوهان فردريك هربارت (١٧٧٦ ـ ١٨٤١) :

اهتم بالفترة التالية لفترة الطفولة (المدرسة الثانوية والجامعة) ٠ وأسس آراءه التربوية على الاخلاق (لتحديد الاهداف) ، وعلم النفس (لتحديد الوسائل) وقد وضع أتباعه طريقة تعليمية وعلى خمس خطوات لاقت قبولا فى معاهد المعلمين (١٤) ٠

٤ ـ هربرت سبنسر (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) :

يعتبر التربية اعدادا للحياة الكاملة ، واعتبر غرض التربية نفعيا (١٥) ٠

٥ ـ جون ديوى (١٨٥٩ ـ ١٩٥٢) :

ثار على الأهداف التقليدية فى التربية ، وأساس التربية عنده

---

(١٣) Nelson L. Bossing - The same source - p. 170.

(١٤) المرجع السابق ٠

(١٥) سعد مرسى احمد ، تطور الفكر التربوى ـ عالم الكتب ـ ١٩٦٦ ص ٤٦٦ ٠

الطبيعة السيكلوجية للطفل والاهتمام بالأهداف الاجتماعية والمدرسة وسيلة هامة من وسائل التقدم والاصلاح الاجتماعى •

والأفكار أدوات أو الآت يستخدمها الانسان ليكون على علاقة فعالة بالبيئة (١٦) •

* * *

● تعريف التربية :

ولا نغادر هذا الفصل حتى نعرف التربية ـ حسبما تواضع عليها علماؤها ـ فنقول انها عملية ••• تتجه الى أهداف •

فهى تهتم بالوسائل العملية التى تحقق لها أهدافها •

وأهدافها تتفاوت ما بين : « التكيف مع البيئة » الى تكوين المواطن الصالح (١٧) •

---

(١٦) المرجع السابق •
(١٧) المراجع السابقة ، ورسالة قيمة للاستاذة : فتحية عمر رفاعى الحلوانى ـ حصلت بها صاحبتها على درجة الماجستير بتقدير ممتاز (٤ / ٣ / ١٤٠٢ هـ) من جامعة ام القرى بمكة المكرمة تحت عنوان دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة فى ضوء الاسلام ، الطبعة الاولى (١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م) •

وراجــع كذلك التربية وطرق التدريس ج ١ للاستاذ صــالح عبد العزيز ، د• عبد العزيز عبد المجيد ، دار المعانى بمصر ص ١٢ وما بعــدها •

ويعرف بعضهم التكيف : « تلك القدرة التى لدى الكائن الحى للملاءمة بين الدوافع النفسية والظروف البيئية » (١٨) .

فالتربية بهذه المثابة ، اعداد للحياة ، وحياة معا ، وهى عملية تتضمن الهدف فى خلالها .

This education was not only close to life, it was in very fact part and parcel of living. (١٩)

وفى بيان أغراض التربية :

يذكرون أنها ـ عمليا ـ تختلف تبعا لاختلاف الحياة الاجتماعية لكل جماعة ..

وعلميا ـ فانها تتفاوت بين اعداد المواطن الصالح أو الاعداد للحياة ..

وقد تمادى ديوى فقـال :

Education is not a prepation for life, But education is life itself. (٢٠)

***

---

(١٨) المرجع الثانى ص ١٦ ، ٣ ، ٤ المرجع السابق وراجع ٢٨ ، ٣٨ ، ٤٠ .

(١٩) المرجع السابق وراجع :

Education for changing civilization By W.H. Kilpatrik p. 53, 54.

(٢٠) المرجع السابق .

الفصل الثانى

أطوار التربية الاسلامية

• توطئـــة :

لسنا بصدد التعرض للتربية الاســلامية ·· محاولة لرسم خطوط نظريتها ، ولكننا فى معرض التمهيد باشارات سريعة لتطور مفهوم التربية الاسلامية ، نبدأ بخير القرون ثم نثقفى بالفترة بين القرن الرابع الى الثامن وننتهى فى الفترة من القرن الثامن حتى الآن · · ·

وقبل أن نشير الى هذه الفترات ، نود أن نقول انه لأول مرة فى التاريخ تتواجد على الأرض نظرية تجمع بين المثال والواقع ، وتصل ضرورات الجسد بأشواق الروح ، وتربط الأرض بالسماء ، وتصل الدنيا بالآخرة ، وتعلى من شأن الانسان ذلك الكائن الذى كرمه ربه على سـائر الكائنات ، ورباه ربه الأكرم بأكرم أنواع التربية ··

وذلك ما سوف يتضح بعد قليل ··· بمشيئة الله ·

١ ـ الفترة الأولى خير القرون (الأول ـ الثالث) :

فيها كان الوحى ·· قرآنا وسنة ·

وفيها شهد الصحابة والتابعون ، وتابعو التابعين .. سيرة رسول الله ﷺ أو سمعوا عنها من قريب ، وهى بعد غضة !

وفيها .. كان الوحى يربى .. توجيها وتشريعا .

وفيها .. كان النبى ﷺ .. يربى قدوة وأسوة !

وفيها .. كان من بعده على طريقه .. يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم !

وشهد العالم - لأول مرة - نظرية شاملة متكاملة ، تجمع الرغب والرهب ، والدنيا والآخرة ، والواقع والمثال ، وترعى الانسان بكل طاقاته ومكاناته .

ولئن تمثلت فى نصوص ، فقد تبعها التطبيق ، على أروع مثل للالتزام والتطبيق وتبعها الاجتهاد من الصحابة ثم التابعين وتابعى التابعين وأئمة المذاهب .

ولعل هذه الفترة هى التى سوف نقدمها بمشيئة الله عند صياغة النظرية (الباب الثانى) .

* * *

٢ - الفترة الثانية (من القرن الرابع الى القرن الثامن) :

لئن أرست الفترة الأولى الأصول ..

فلقد كانت هذه فترة التفريع ... أينعت الشجرة المباركة ثمارها تطبيقا ، وتفريعا فكانت مدارس تربوية متعددة :

● مدرسة المحدثين والفقهاء :

ولئن بدأت هذه المدرسة منذ القــرن الثالث ، فى تواغق بين المدرستين الا أنه مع القرن الرابع بدأت تتميز مدرســة المحدثين بالوقوف عند التراث ، ومدرسة الفقهاء (أو مدرسة الراى) بالغوص فى الأدلة والتفريع عليها والنظر فيما تركه الأئمة ومن ثم اعتمد كل فريق طريقه أساسا للتربية .

● مدرسة التصوف :

تبلورت الصوفية فى القرن الثالث ، وبدأت تصوغ أصولها فى تهذيب النفس وتزكيتها (١) ، ولم تكن على النحو الذى يراه الناس الآن انحرافا عن سنة رسول الله ﷺ ، أو اتباعا للبدع ...

واستمرت تضع المنهج لتربية المريد نظريا وعمليا ... وان غيرت بعد ذلك وبدلت .

● مدرسة الفلسفة :

وفيها كان الاهتمام بالمنهج العقلى ، والمنطاق والجدل واستخدم ذلك كله فى قضايا الايمان كما استخدم فى منهج التربية الاسلامية .

---

(١) ظهرت فى القرن الرابع مدرستان للصوفية الملتزمة بالاطار : الأولى فى نيسابور يقودها أبو نصر السراج (المتوفى ٣٧٨ هـ) الثانية فى بغداد ويقودها نفر من الشيوخ أبرزهم جعفر بن محمد الخلدى (المتوفى ٢٤٨هـ) .

واتجه بعضهم الى قيام التربية على أسس ثلاثة :

علم نفس تربوى قائم على تحليل النفس ٠

وأساس اجتماعى يبلور معنى الخير والسعادة ٠

وأساس فلسفى يحدد ما هو فاضل وما هو رذيل (٢) ٠

● **مدرسة علماء الكلام :**

واتسمت هذه المدرسة فى مجال التربية بما يلى :

– التوسع فى المناظرة – وقد بقى علماء السنة بعيدا عن هذا الميدان ثم ولجوه ٠

– الأخذ على التحديث من الذاكرة – بمقولة أن المحدث لا يسلم من الخطأ ٠

– استمرار الأساليب الأخرى : كالاملاء ، والاجازة ، والاسئلة والقراءة (٣) ٠

* * *

٣ – الفترة الثالثة – فترة التقليد :

وقد بدأت منذ القرن الثامن واستمرت حتى الآن ٠

وهو جيل لم يسعد بابتكار الأصول ، ولا بابتكار التطبيق ،

---

(٢) د٠ ماجد عرسان الكيلانى – تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ص ١٢٤ ٠

(٣) المرجع السابق ٠

بل عاش الجمود وعايش التقليد ، وانعزل المفكرون فيه عن ظروف العصر ، ولم يعودوا يؤثرون أو يتأثرون بل انتشر التعصب المذهبى، وندرت القيادات المستنيرة ، وكثرت الخرافات الصوفية وظهرت فى هذه الأجيال آثار الانقسام المذهبى .

لكن الفترتين لم تعدما رجالا فى مجال التربية :

أمثال على بن محمد الماوردى (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ) وكان أشعريا تحمس لآراء الأشعرى ، واعتبر أساس العمل لبلوغ سعادة الدنيا والآخرة تربية الطفل . وأنكر التقليد ودعا للتحرية .

وأمثال احمد بن على الخطيب البغدادى (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ) تأثر بأستاذه الماوردى .

وأمثال أبو حامد بن محمد الغزالى (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ) .

وهنا أنشأ الغزالى مدرسة ربانية أخروية لكنه لم يغفل عن الأمور الدنيوية فقد قسم العلوم الى : شرعية ، وعقلية ، وطبيعية ، ومهن وصناعات ، وهو يهتم ببناء العقيدة الاسلامية ثم تزكية النفس للارتقاء بالانسان من مستوى الخضوع للأهواء والشهوات الى مقام العبودية لله - والنفس والقلب والروح أسماء متعددة لجوهر واحد هو جوهر الانسان ثم دراسة القرآن . ثم الاعداد الوظيفى (الحكمة) .

وأخيرا ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) . وقد جدد الفكر التربوى.

وابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ) .

* * *

● مع بشائر فجر جديد :

وقبل أن ننتهى من مراحل تطور التربية الاسلامية نشير الى أن النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى قد شهد صحوة اسلامية ... تجدد فى الفكر ، وتجدد فى الأسلوب ، وتجدد فى الوسائل ، وان التزمت أصول السلف الصالح ... فجمعت بين الأصالة والتجديد ، ورغبت الى ايقاظ الأمة من سبات عميق ، وعمدت الى وسائل التربية العديدة القديم منها والحديث فأخضعتها لمعايير الاسلام ، وخلصتها من الجمود ، كما خلصتها من الابتداع ، يقول صاحب هذه المدرسة :

« أيها الاخوان المسلمون .. أيها الناس أجمعون :

فى هذا الصخب الداوى من صدى الحوادث الكثيرة الحبالى التى تلدها الليالى .

فى هذا الزمان ، وفى هذا التيار المتدفق الفياض من الدعوات التى تهتف بها أرجاء الكون وتسرب بها أمواج الأثير فى أنحاء المعمورة ، مجهزة بكل ما يغرى ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر .

نتقدم بدعوتنا نحن ...

هادئة .. ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة ....

متواضعة .. ولكنها أعز من الشم الرواسى ...

محدودة ·· ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الارضية جميعا ··
خالية من المظاهر الزائفة والهرج الكاذب ، ولكنها محفوفة بجلال الحق وروعة الوحى ، ورعاية الله مجردة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية ، ولكنها تورث المؤمنين بها من الصادقين فى العمل لها السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة ·

أيها الاخوان المسلمون ·· أيها الناس أجمعون :

لسنا حزبا سياسيا ، وان كانت السياسة على قواعد الاسلام من صميم فكرتنا ··

ولسنا جمعية خيرية اصلاحية ، وان كان عمل الخير والاصلاح من مقاصدنا ··

ولسنا فرقا رياضية ، وان كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا ···

ولكننا ـ أيها الناس ـ فكرة وعقيدة ونظام ومنهاج ، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس ولا يقف دونه حاجز جغرافى ولا ينتهى بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ذلك لأنه نظام رب العالمين ومنهاج رسوله الأمين » (٤)) ·

* * *

---

(٤) من رسالة « تحت راية القرآن » ، وتعد رسالة « التعاليم » للامام ـ رحمه الله ـ منهج تربية متكامل جمع بين التوجيه الروحى والعقلى والجسدى ·· وارتقى بالفرد الى مرحلة الجهاد ، وهى التى أسماها رسول ﷺ ذروة سنام الاسلام ، وقد طبقها حوالى عشر سنوات ، فتم له تربية حول عشرة آلاف على منهج الاسلام ·

الفصل الثالث

الغزو التربوى للعالم الاسلامى

● توطئة :

فى أكثر من مكان تعرضنا لحديث الغزو الفكرى للعالم الاسلامى(١)، واستطعنا بفضل الله أن نثبت أن غزو الفكر والعقيدة كان بديل غزو الأرض والتراب ..

وقلنا ان المسلمين غفلوا عن الغزو الجديد فى حين انتبهوا للغزو القديم ..

وقلنا ان الغزو الجديد أخطر من القديم لأنه استهدف ما هو أعز وأكرم على الله وعلينا من الأرض والتراب ، ولأنه لا يوقظ النوام ولا ينبه الغافلين ، وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين !

ونعرض بمشيئة الله لأدوار هذا الغزو .. ثم نعرض لميادينه التى يمارسها الآن .

---

(١) كتاب « الغزو الفكرى للعالم الاسلامى » بالاشتراك ـ « حاضر العالم الاسلامى » للمؤلف،كتاب«التخطيط للدعوة الاسلامية» للمؤلف ، « الاتجاهات الفكرية المعاصرة » للمؤلف .

أولا : أدوار الغزو الفكرى للعالم الإسلامى

مر الغزو الفكرى ـ كما بينا فى أكثر من مكان (٢) ـ بأدوار ثلاثة :
أما الأول ـ فكان يدعو صراحة الى تنصير المسلمين ٠

وكان يعتبر هذا الهدف بديلا كافيا عن هزيمته فى الحــروب الصليبية ، ولقد كانت وصية لويس التاسع ملك فرنسا الذى أسر فى دار ابن لقمان فى المنصورة اثر هزيمة الحملة الصليبية على مصر ـ كانت هذه الوصية أساسا لسياسة طويلة المدى ، حلت فيه الكلمة محل القذيفة،والمدرسة والارسالية محل جيش الاحتلال،وعمدت الدول الصليبية المتعصبة الى دعم الغزو الجديد سياسيا ، وأحيانا لجأت الى قوة الاحتلال مساندة للغزو الجديد (٣) ٠

ونجح الغزو الجديد في بعض المناطق ، وأغرى الغزاة بالتوسع والاستمرار ٠

وفشل فى مناطق أخرى ودعا الغزاة للبحث عن البديل ٠

---

(٢) المراجع السابقة ـ والمراجع المشار اليها فيها ٠

(٣) راجع الاتجاهات الفكرية المعاصرة للمؤلف ـ وراجع «أقوال» للمبشر لورنس براون ، وقد عالج بعضهم المسألة الاسلامية تحت عنوان « المصيبة الاسلامية » ـ وقول بعضهم : « لابد للشجرة أن يقطعها أحد أبنائها » ٠

بيد أن فشله فى تحقيق « هدف التنصير » كان أكثر من نجاحه ٠

وفى بعض المواقف جرى تقويم لسياسة التنصير ، فأثبتت الأرقام أن آلاف المبشرين مؤيدين بملايين النقود ، فضلا عن النفوذ السياسى ٠٠لم ينجحوا الا مع أرقام تعد بالآحاد ولا تغادر العشرات. وأن بحث حالات تلك العشرات أسفر عن أن أكثرها كان لقيطا عاش فى الملاجىء ، ووجد فى الدين الجديد « حضانة » افتقدها فى طفولته وصباه ، ومن ثم اتجه الى الدين الجديد ، فضلا عن أن عددا آخر دفعتهم المصالح الدنيوية الى اعتناق الدين الجديد ليجد عن طريقه المنصب والمال والعمل ! ٠ ٠ وبدأ التفكير فى البديل الجديد ٠

***

المرحلة الثانية ـ « زويمر » يقترح البديل :

وفى مؤتمر مشئوم انعقد بالعاصمة المقدسة «القدس» ٠٠ دعا فيه زعيم المبشرين الى البديل الجديد وكان من بين ما قال تبريرا لهذا البديل وتغطية للفشل الذى منوا به فى المرحلة الأولى :

« أيها الاخوان الأبطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الاسلام ، فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء ووفقتم لها أسمى توفيق ، وان كان ليخيل الى أنه مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم الى الغاية الأساسية منه ٠٠ اننى أقركم على أن الذين دخلوا فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ٠٠٠٠

ولـكن مهمـة التبشير ··· ليست هى ادخـال المسـلمين فى المسيحية ··· وانما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ···· » (٤) ·

وبدأت مرحلة جديدة ··· يكتفى فيها باخراج المسلم من دينه دون أن يدخل دينا آخر ·

لقد كان دخول المسلم دينا آخر ·· أمرا يثير العصبية داخل نفس المسلم ، ثم داخل نفوس أهله واخوانه وجيرانه ومحبيه ـ أما فى البديل الجديد فانه يكتفى بالشق الأول من العملية : خروج المسلم من دينه ويعدل عن دخوله الدين الجديد ·

·· ليس لأن فى ذلك تشريفا له وتكريما ـ كما كذب « زويمر » ـ ولكن لصعوبة الخطوة الثانية من جانب ، ولما تؤدى اليه من ردود فعل كثيرة من جانب آخر ·

فهل نجح البديل الجديد ؟

قد يبدو من وجهة نظر أنه لم ينجح لأنه لم يضف شيئا الى دين النصارى ·

لكنه من وجهة نظر أخرى نجح اذ فصل بين المسلم وبين دينه ، ومن جهل شيئا عاداه ··

هذا من جهة ، ثم من جهة أخرى فقد أمن النصارى « شر » واحد من المسلمين ·

---

(٤) الاتجاهات الفكرية المعاصرة (للمؤلف ـ تحت الطبع)

فهو ان لم يسجل فى ايجابيات النصارى بانضمامه ، فهو مسجل فى سلبيات المسلمين بانفصاله !

وبقيت تجربة البديل الجديد ٠٠٠

حتى وجد أن خروج المسلم من دينه تماما أمر صعب ٠

فالمسلمون فطروا على الوفاء ، فمن الصعب أن يقبلوا الداعية الى خروجهم من دينهم ومن ثم كان البديل فى طور ثالث أو مرحلة ثالثة ٠

* * *

المرحلة الثالثة ـ ابعاد المسلم عن دينه : التغريب ، التحديث ، التغيير الاجتماعى :

هذه هى المرحلة التى نعيشها الآن ٠

وهى المرحلة التى تغطى فيها « الشعارات » حقائق السياسات ٠

أو تتم فيها الحرب بأيد تغطيها قفازات الحرير ٠٠ فتبدو لبقة دبلوماسية رقيقة !

ومن ثم حلت عبارات : التغريب ، التحضر ، التمدن ، التحديث ، التغيير الاجتماعى ٠٠٠

حلت هذه العبارات محل اخراج المسلم من دينه ، أو ابعاده عن ذلك الدين !

وشهدت الخمسينات من القرن العشرين هذا التغيير ٠

وتبدت العبارات الأولى على ألسنة الانجليز ، والعبارات الثانية على ألسنة الأمريكان ٠

وصحب ذلك التغيير تغيير فى القوى السياسية ٠٠٠ وكثرت الانقلابات العسكرية،لتحل الجيوش الوطنية محل الجيوش الأجنبية فى حراسة المكاسب الاجتماعية الجديدة ٠

وكان هناك أكثر من ميدان خاضته القوى السياسية خدمة لأغراض التبشير اللعين ٠٠٠ لكن هل معنى ذلك أن التنصير قد كف عن جهوده فى العالم الاسلامى ؟

نقول بعون الله : انه وان اعتبر الخطة الأخيرة خطة عامة لكنه لايزال اغراء الكسب لدينه قائما ، وقد نجح فى مناطق للأسف : ففى أندونيسيا ـ أكبر دولة اسلامية عددا ـ تم تنصير خمسة ملايين مسلم حسب تقارير الندوة العالمية للشباب وحسب معلوماتنا تصل الى عشرة ملايين ـ وفى افريقيا لايزال يعمل ، وفى أفغانستان المسلمة يمارسون التبشير وسط المهاجرين !

* * *

ثانيا : ميادين الغزو التربوى

● وكان أول هذه الميادين وأقدمها ميدان التعليم :

بدأوا فيه بالارساليات (٥) ، وسبقت تلك جيوش الاحتلال

---

(٥) تأسست الجمعية التبشيرية الكنسية فى لندن عام (١٧٩٩) وكذلك المجلس الأمريكى لمندوبى البعثات التبشيرية ، وتأسست الجامعة الأمريكية فى بيروت عام ١٨٦٥ وكانت تحمل اسم الكلية السورية الانجيلية ٠

تمهيدا وتربية لحراس الاحتلال ، أو جاء الاحتلال تمكينا لها وتثبيتا وحماية لها ورعاية ·

وانتشرت فى العالم الاسلامى المدارس الأجنبية (٦) :

وغشيها أبناء الطبقة الراقية أو « الأرستقراطية » ليكون من بينهم الحكام والوزراء ، ومديرى الجامعات وأصحاب المناصب الهامة فى الدولة ، وليتولى هذا الجيش الجديد مهمة اخراج المسلمين من دينهم ، أو ابعادهم عن الدين ، أو تحديثهم أو تغريبهم وتحضيرهم - بالعبارات الجديدة ··

وتبع ذلك التدخل فى التعليم الوطنى نفسه (٧) ليسلب منه القرآن والدين واللغة العربية ، وليبقى ذلك التعليم علمانيا - يخرج الجيوش من العلمانيين الذين ليسوا بالمسلمين ولا النصارى ولا اليهود ·

---

(٦) تأسست فى سوريا ثلاث وثلاثون مدرسة أجنبية فى أقل من عدد تلك السنين ، وفى لبنان ٢٠٠ مدرسة أمريكية فرنسية انجليزية روسية ألمانية ايطالية ، وفى مصر ما بين عام (١٨٤٤ - ١٩٤٣) جاءت ٣٣ ارسالية ، أنشأت فى مصر ٣٥ مدرسة فرنسية ، ٢٤ انجليزية ، وما بين (١٨٥٥ - ١٩٥٨) : ٨٤٧١ مدرسة أمريكية عدا مدرسة البنات الأمريكية (١٨٦٠) ، كلية البنات (١٩٠٦) والجامعة الأمريكية (١٩١٩) ·

(٧) أنور الجندى فى كتاب «الغزو التربوى للعالم الاسلامى»·

وتعدلت مناهج التعليم الوطنى على أساس من ذلك ·

كما وضع على رأس واضعى المناهج وموجهى سياسات التعليم من تمت تربيتهم على أيدى اليهود والنصارى ، ووضع بعضهم على قمة التوجيه فى الجامعات ، وقمة التوجيه فى وزارات التعليم رغم أنه أعلن فى أكثر من مؤلف ما اعتبره الكثير من العلماء مرتدا عن الدين مفارقا للجماعة !

وأضفى على هؤلاء الألقاب وأغدقت عليهم المناصب ولم نعد بحاجة الى « دنلوب » فى كل وزارة للتعليم فقد تولى المهمة محمد ، وأحمد ، وطه ، وابراهيم ! (٨)

● لكن ماذا فعلوا بالتعليم الدينى كالأزهر وما شابهه ؟

لئن اكتفوا فى التعليم العادى بتوجيهه وجهة علمانية ، فقد عملوا على تخريب التعليم الدينى بأكثر من وجهة :

أساءوا الى سمعة أساتذته وطلابه بحملة اعلامية منظمة : شارك فيها المقال ، والكاريكاتير ، والنكته والتمثيلية والمسرحية ·

ووصل الازراء به والازدراء لشأنه أن خف المقبلون على الالتحاق به ·

---

(٨) أنور الجندى فى كتابه « الغزو التربوى للعالم الاسلامى »

جعلوا خريجى الجامعات الدينية من مستوى وظيفى ومادى ، أدنى من خريجى الجامعات العلمانية مع أن سنى الدراسة فى الأولى أطول من الثانية مما كان يوجب الوضع العكس ٠

فمناصب الدولة الهامة ـ ابتداء من المناصب الدنيا الرفيعة وانتهاء الى المناصب العليا الرفيعة ـ لا تتم لخريج جامعة دينية : فالمحقق والقاضى والضابط والوزير ، ورئيس الدولة ، لا يمكن أن يكون خريج جامعة دينية باستثناء وزير الأوقاف ٠٠ وهى وزارة قصد لها أن تكون – بل أن تولد ـ ميتة !

وراتب خريج الجامعة العلمانية بلغ فى فترة من الفترات ثلاثة أضعاف خريج الجامعة الدينية ولا يزال التمييز قائما ـ وان وحدت أكثر الكادرات ـ تحت أسماء أخرى ٠

أخيرا ٠٠ نفذت الوصية التى نادى بها فى مؤتمر التبشير المنعقد بالقاهرة (١٩٠٦) بضرورة تطوير الأزهر ٠٠ وتم ذلك بعد خمس وخمسين عاما على يد أول حاكم مصرى شعبى كما كانت تقول وسائل الاعلام !

وقبلها بست سنوات ألغيت المحاكم الشرعية فى مصر ، وهى التى كانت تمثل آخر ميدان لتطبيق الشريعة ، وذلك فى ظل حملة اعلامية حقيرة مست كرامة رجال الأزهر وخريجيه ٠

ولا تزال بقايا التعليم الدينى تشكو سوء المنهج ، وندرة القدوة وقلة التشجيع (٩) •

● **أما الميدان الثانى فقد كان « الاعلام » :**

ولعب الاعلام دورا خطيرا ابتداء من الصحف فى مؤخرة القـرن التاسع عشر ومطلع العشرين ، ومرورا بالاذاعة التى غزت البيوت ، وانتهاء الى الرائى (١٠) الذى كان أخطر تلك الوسائل ، بما يحمل من قوة التأثير اذ يمارسه على حاستين فى آن واحد : السمع والبصر ويتبعهما الفؤاد !

وكانت قمة السخرية ظهور التسجيل المصور « الفيديو » الذى أفلت من كل رقابة وحمل السم زعافا يمزق القلوب ويمزق البيوت ، وما يذكر الا أولوا الألباب •

وفى أكثر من مكان تعرضنا للاعلام •• باعتباره يمارس التربية غير الاسلامية ، • فى كل بيت مقتحما الأسوار والجدران ، ومشاركا للناس فى حجرات النوم بل حاجبا لهذا النوم عنهم !

ملهيا لهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، مذكرا لهم بالشيطان بل ممكنا له بين أحضانهم !

وفى أكثر من صيحة تعالت أصوات المنذرين :

---

(٩) راجع الرسالة القيمة للأستاذة فتحية الحلوانى ـ المرجع السـابق •

(١٠) تعريب لجهاز التليفزيون (Television) •

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التى تردى فيها اعلامنا ، ولا يزال الى اليوم يتردى ٠

« فبدلا من أن يكون منارة اشعاع للحق ، ومنبر دعوة الى الخير ، صار صوت افساد وسوط عذاب !

وسكت القادة ! فأقروا بسكوتهم ، أو جاوزوا ذلك فشجعوا وتحمسوا ٠

« وطغى صوت الفساد على صوت الدعوة الى الله ٠

« وزلزل الناس فى ايمانهم وأخلاقهم ومثلهم ٠

« ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعاة الى الحق » (١١)٠

وفى كل يوم يزداد الاعلام بعدا عن الاسلام واشادة بالقيم غير الاسلامية ، ويتولى مهمة التربية غير الاسلامية ٠٠٠ بالمقال ، والكاريكاتير ، والأغنية ، والتمثيلية والمسلسلة ، والقدوة السيئة من الممثلين والممثلات الذين أطلقت عليهم ألقاب النجوم والكواكب ليقتدى بهم الفارغون والفارغات ٠٠٠

وضعف دور البيت الى جوار دور المدرسة والاعلام ٠

بل غزيت البيوت فى عقر دارها بالتربية الجديدة المخططة من دعاة جهنم !

---

(١١) المؤتمر العالمى الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ــ المدينة المنورة ، صفر (١٣٩٦ هـ) ٠

● **اما الميدان الثالث فقد كان « القدوات الجديدة » :**

القدوات الجديدة فى مجال الفكر ..

القدوات الجديدة فى مجال الفن ..

القدوات الجديدة فى مجال النشاط الاجتماعى ..

القدوات الجديدة فى مجال النشاط السياسى ..

ان الجميع - الا من رحم ربى - قد تعرض للغزو التربوى ، بل تمت صياغته صياغة غير اسلامية ليكون من دعاة جهنم ... رغم أنه من جلدتنا ويتكلم بلساننا .

ألا يتم من خلال ذلك صياغة الجيل صياغة غير اسلامية ؟ !

***

ثالثا : ردود الفعل للغزو التربوى

لكن هل بقى هذا الغزو بلا رد فعـل ؟ .. قـد يكون ذلك هو البـادى !

خاصة اذا نظرنا الى مجال السلطة فوجدنا فيهـا من لا يمت للتربية الاسلامية بصلة .

وبالأخص اذا نظرنا الى مجال التوجيـه الفكـرى والاعـلامى والتربوى فوجدنا أكثرهم ينفذون أو يلتزمون المخطط الأثيم .

لكن النظرة العميقه تعطى غير ذلك .

ان ردود الفعل تعمل فى الأعمــاق وان بدا السطح هادئا غير منذر بخراب ..

وان النار تسرى تحت الرماد وان بدا الرماد باردا هادئا لاينذر باشتعال !

وان سنن الله وقوانينه لا تتخلف مجاملة لأعداء الله ، ولكنها تنتظر من يستحقون أن يتنزل عليهم النصر أو أن يتشرفوا بحمل راية لا اله الا الله !

ان جماعات كثيرة نفرت تبشر وتنذر ، وتدعو الى الله أكثرها على بصيرة ، وان قصر الجهد وقامت العقبات .

وان اقبالا للناس على تلك الجماعات التزاما بمنهج التربية الاسلامية الصحيح ، ودعوة الى منابع الاسلام الصافية .. كذلك كثير وكثير ..

وانه على دعاة جهنم – فى كل مجالاتهم – أن يختاروا : اما أن يتوبوا ويصلحوا ويعتصموا بالله ويخلصوا دينهم لله .... فيكونوا مع الصادقين .. والا فالنار تحت الرماد فى الدنيا تنذرهم بحريق ، ونار جهنم أشد حرا تنذرهم بعذاب جهنم وعذاب الحريق !

بيد أننا نشير الى ردود للفعــل غير سليمة أو صحيحة جنحت فى مقابل التفريط الواقع فى المجتمعات الى افراط فى التصور والحكم

فحكمت على الأفراد والمجتمعات بالكفر ، أو سترت الوصف بوصف آخر على ما نشير بمشيئة الله تعالى .

ولكننا مع الافراط كما أننا ننكر التفريط وكان بين ذلك قواما هو الوسط الأمثل الذى وصف الله به الأمة الاسلامية ، « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** » (١٢) .

* * *

---

(١٢) البقرة : ١٤٣ .

الفصل الرابع

أهمية التربية الاسلامية

لا نغادر الحقيقة ان قلنا ان القرآن كله منهج تربية متكامل .

يربى الفرد ، ويربى الأسرة ، ويربى المجتمع .

يربى الحاكم والمحكوم ، يربى الصغير ويربى الكبير .

يربى فى السلم ويربى فى الحرب

يربى فى المعاملات ، ويربى فى العبادات .

يربى بالقصة ، ويربى بالمثل ، ويربى بالتوجيه ، ويربى بالتشريع .

والذين لم يدركوا هذه الحقيقة ... لم يفهموا القرآن .

والذين لم يدركوا هذه الحقيقة .. لم يقدروا للتربية قدرها .. ومن ثم مضوا فى خطوات غير سليمة ـ هذه واحدة ـ سوف يرد تفصيلها فيما بعد ان شاء الله .

.. أما الثانية .. فاننا ان نظرنا الى المراحل التى تمر بها الدعوة الاسلامية .. من خلال سيرة رسول الله ﷺ نجدها مراحل ثلاث :

● **الأولى – مرحلة التبليغ :**

وهى التى وجه الله رسوله فيها بقوله « **ان عليك الا البلاغ** »(١)

« **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس** » (٢) .

والذين يخلفون رسول الله ﷺ يقومون بنفس المهمة ، « **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله** » (٣) .

« **قل هذه سبيلى أدعوا الى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين** » (٤) .

ولعل هذه المرحلة وان وردت فيها التربية من خلال ما يصل لسماع المبلغ .. الا أن صفة البلاغ تغلب عليها (*) .

● **أما المرحلة الثانية – فهى مرحلة البناء والتكوين .**

وهذه مرحلة التربية الحقة .

وهى التى عكف عليها رسول الله ﷺ على الجماعة الأولى –

---

(١) الشورى : ٤٨ (٢) المائدة : ٦٧
(٣) الأحزاب : ٣٩ (٤) يوسف : ١٠٨

(*) وكان فيها رسول الله ﷺ يقول « من يحمينى لأبلغ دعوة ربى »، ويوجه حديثه لقومه : « قولوا لا اله الا الله تفلحوا ». الأول رواه أحمد والحاكم بلفظ « يؤوينى » ، وصححه الحاكم وأقره الذهبى . والثانى رواه أحمد والبيهقى .

« يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٥) ..
وكانوا يستخفون فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، حتى اذا عز الاسلام ظهروا بما يحملون من مبادىء وقيم ومثل وأخلاق ..

وقد كانت هذه الفترة حقا فترة البناء والتكوين (٦) .

حتى اذا قام البناء أو استغلظ الزرع واستوى على سوقه .. كان قادرا على مواجهة الأنواء ، فكانت المرحلة الثالثة .

وفى المرحلة الثانية كان الشغل الشاغل هو التربية .. بكل شمولها ، وبكل ميادينها .

• أما المرحلة الثالثة - فهى مرحلة المواجهة والتمكين :

ولئن غلب عليها جانب التنفيذ أو الجانب العملى ، بعد أن كانت ثمار التربية فى المرحلة التى سبقتها يانعة دانية .. الا أنها كذلك لا تخلو من تربية ، بل فيها لون من التربية جديد .. التربية بالأحداث مع التوجيه الربانى والنبوى خلال هذه الأحداث - ولعلنا نعرض لذلك تفصيلا فيما بعد ان شاء الله - لكننا نقتصر على مثل واحد .. هو الذى ذكره القرآن فى سورة آل عمران :

---

(٥) آل عمران : ١٦٤ ، والجمعة : ٢

(٦) راجع دعوة الله بين التكوين والتمكين - للمؤلف - الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤٠٦هـ .

« ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ٠

اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ، والله خبير بما تعملون ٠

ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء ، قل ان الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كانا لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » (٧) ٠

والذى نلحظه على النص الكريم :

أولا : أنه سجل المواقف وسجل التربية الهادفة من خلالها ٠

ثانيا : أنه تضمن التوجيه الربانى فى نفس الوقت تعليقا على تلك الأحداث ٠

---

(٧) آل عمران : ١٥٢ ـ ١٥٤

• هكذا نجد التربية فى المراحل الثلاث وان كانت أظهر فى مرحلتها الثانية مرحلة البناء والتكوين (٨) •

أما الثالثة •• فانه ان كانت التربية الاسلامية لازمة فى كل العصور •

فانها فى عصر تتعرض فيه الأمة الاسلامية لغزو تربوى خطير ـ أشرنا الى بعض خطوطه وخيوطه ـ انها فى هذا العصر ألزم لمواجهة ذلك الغزو الخطير •

أما الأخيرة ••• فهو أن الكثيرين فى غفلة عن أهمية التربية الاسلامية •

ومن ثم فليست فى مناهج التعليم عند الكثيرين •

وان وجدت فبمفهوم مبتسر ••• قاصر اما على التثقيف ، واما على أداء بعض الشعائر ، واما على تلقين بعض الدروس فى التوحيد أو فى الفقه ، أو غير ذلك •• دون رابط منهجى يجعل من كل ذلك منهج تربية متكامل ـ على نحو ما سنشير •

ـ وليست فى مناهج القائمين على أمر الجماعات الاسلامية ـ الا من رحم ربى ـ وان وجدت فالاهتمام بجانب دون بقية

---

(٨) راجع بحثا لنا تحت عنوان « دعوة الله بين التكوين والتمكين » وكذلك « مناهج الدعوة الاسلامية وأساليبها » ، والأخير تحت الطبع •

الجوانب ، أو على حساب بقية الجوانب ، ومن ثم توجد المغالاة فى بعض الجوانب ، وتكون الفرقة بين الكثير من الجماعات •

– وبالتأكيد ليست فى مناهج الاعلاميين •

الذين يفسد أكثرهم فى الأرض ولا يصلحون ، وتحمل برامجهم الغث والمفسد والفاجر •••

والذين حين يقدمون المادة الدينية ، يقدمونها للتسلية لا للتوجيه ولا للتربية •

كما يقدمونها فى أوقات تفقدها حسن الاصغاء أو حسن الاستفادة

وترتيبا على ما تقدم كله افتقدت البيوت مناهج التربية ، وان وجدت فهى تضيع وسط ضجيج الاعلام الفاسد وتوجيه التعليم العلمانى فى أكثر بلاد الاسلام •

وترتيبا على ذلك افتقد المجتمع – بدوره – دوره فى التوجيه والتأثير الصالح فى مجال التربية للأفراد بل انتقل فى أكثر الأحيان الى التوجيه والتأثير الضار فى هذا المجال • وانا لله وانا اليه راجعون •

ومن ثم تبدو أهمية التربية وتبرز الحاجة اليها ••• بل الضرورة الملحة ، والله المستعان •

* * *

الفصل الخامس

تعريف التربيــة الاسلاميــة

•• لسنا ممن يفرقون فى الشكليات أو يغالون •

ولا نقف عند من يقول اننا لا نستعمل لفظا استعمله غيرنا •

فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا •

ومن ثم لا نصغى الى من يقول ان ثقافة الاسلام لم تعرف فى تاريخها علما يسمى علم التربية الاسلامية •

هذا على فرض أن غيرنا قد سبق اليه •••

•• ومع ذلك فنحن نؤكد أنا السابقون :

أولا : لأن اسم التربية اشتقاق من الكلمة العزيزة « الرب » :

« سبح اسم ربك الأعلى • الذى خلق فسوى • والذى قدر فهدى • والذى اخرج المرعى ••• » (١) •

« اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » (٢) •

ثانيا : أن الاشارات الموجودة فى الحضارات القديمة فيهـا بصيص من نور نرجح أن مصدره التأثر بالديانات السابقة ، فالله

---

(١) الأعلى : ١ ــ ٤ (٢) العلق : ١ ــ ٥

سبحانه وتعالى لم يترك عباده سدى ، وانما بعث اليهم الأنبياء والمرسلين مبشرين ومنذرين ومربين ! فذلك أولى فى مجتمعات أكثرها وثنى ٠

ثالثا : أن القرآن الكريم جاء بمنهج تربية فريد - سوف نشير اليه فيما يلى - ومن ثم سبق كل المحدثين فى التربيـة والاهتمام بالتربية ، وكذلك سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام وسيرته ٠

رابعا : أنه من بعد الرسول ﷺ والقرون الأولى ٠٠ ظهر مربون على مدى التاريخ الاسلامى برزوا وتعلم الغرب منهم ٠٠ نذكر منهم: الامام الغزالى ، والامام ابن تيمية ، والامام ابن خلدون ٠٠ فضلا عن أن القرون الأولى امتلأت وزخرت بخير المربين من بعد رسول الله ﷺ ٠

والعبرة فى ذلك بالحقيقة والجوهر ، لا باللفظ ولا بالمظهر ٠٠ فقد لا يكون بعضهم استعمل لفظ التربية ، أو استعمل بديلا عنهـا اسما آخر ٠

• أما تعريف التربية :

ذكرت لها تعريفات عدة :

« اعداد الفرد أو الكائن الانسانى لحياته فى الدنيا والآخرة » (٣)

---

(٣) الأستاذ أنور الجندى - التربية وبناء الأجيال فى ضوء الاسلام - دار الكتاب اللبنانى بيروت ص ١٥٣ ٠

« تعتبر من الناحية التطبيقية مهنة التنمية الانسانية من جميع نواحيها ، أما من الناحية الموضوعية ، فهى علم انسانى متطور ، قائم على أصول وتجارب تنمى السلوك الانسانى السوى وتضبطه ٠

ويبحث هذا العلم فى الأهداف والوسائل التى تصل بالانسان الى كماله شيئاً فشيئاً ٠

كما هو علم يستمد أصوله من علم الاجتماع والنفس ووظائف الأعضاء وعلوم أخرى كثيرة ، بالاضافة الى كل هذا فهو يتناول اعداد المعلمين اعدادا تربويا خاصا لكى يتمكنوا من مهنة التدريس بوجه مطلوب » (٤) ٠

ولها بعد ذلك : مفهوم فـردى ـ مفهوم اجتمـاعى ـ مفهوم مثـالى (٥) ٠

ويعتبرها البعض ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى فى نموها وتطورها كما أن التربية الاسلامية منهج لتنشئة المجتمع على الاسلام بتصوراته وقيمه ونظرياته فى مختلف مناشط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية (٦) ٠

---

(٤) عبد الرحمن النحـلاوى ـ أصـول التربيـة الاسـلامية وأساليبها ، دار الفكر بدمشق ط ١ ص ١٢ ٠

(٥) الأستاذة فتحية الحلوانى ص ٤٥ المرجع السابق ٠

(٦) عبد الرحمن البانى ـ مدخل الى التربية الاسلامية فى ضوء الاسلام ، المكتب الاسلامى بيروت ص ١٤ ـ فتحية الحلوانى المرجع السابق ص ٤٧ ٠

● **ونأخذ على التعاريف السابقة :**

١ ـ أكثرها عام ٠٠ فى التربية بوجه عام ٠

٢ ـ وأن الذى خصص فيها الاسلام لم يصل الى أعماق النظرية الاسلامية التربوية كما لم يحط بشمولها ٠

ومن خلال ما سوف نقدم ـ بمشيئة الله ـ نقول بعون الله (٧) :

ان التربية الاسلامية منهج يتضمن أصولا فكرية ، وتربوية ، وأساليب ووسائل متميزة ، وخصائص تجمع بين الربانية والتكامل والوسطية والتدرج والتوازن ، وهو منهج يهدف الى تكوين وبنـاء الفرد المسلم والبيت المسلم والمجتمع المسلم ومن خلال ذلك الى اقامة الدولة المسلمة والشهادة على العـالمين ، ويبقى من وراء ذلك رضا الله والجنة وتعبيد الناس لله رب العالمين ٠

وشرح التعريف هو بالتعرض لهذه العناصر تفصيلا ، وهو ما يتضح من الأبواب القادمة بمشيئة الله ٠

* * *

---

(٧) أخرنا التعريف الى نهاية البـاب الأول ، مع أن وضع التعريف يكون فى البداية تمهيدا له من خلال التطورات والتصورات السابقة ، ومع ذلك لا نحسبه سيكون مفهوما الا بعد تمام أبواب هذا الكتاب لأنه يشير الى الأصول والى الوسائل والى الاساليب ثم الغايات الدنيا بلوغا الى الغاية العليا ، وهذه هى مواد الابواب والفصول التالية بمشيئة الله ٠

الباب الثانى

أصول التربية الإسلامية

- الأسس الفكـرية للتربية الاسلامية .
- نظرة الاسلام الى الانسان والى المجتمع .
- الأسس التربوية الاسلامية .
- مصادر التربية الاسلامية .

أصــــول التربيــة الاسلاميــة

• توطئــة :

ونحن بصدد محاولة الاحاطة بالنظرية الاسلامية للتربية ، وبعد أن قدمنا لهذا بباب تمهيدى عن تطـور مفهوم التربية عند غير المسلمين ، ثم عند المسلمين ، وما تعرض له المسلمون من غزو تربوى خطير ، مما يكشف عن أهمية التربية الاسلامية (الصحيحة) فى مواجهة ذلك ، فضلا عن أن التزامها التزام يوجبه الاسلام وتوجبه المرحلة التى تمر بها الدعوة الاسلامية فى تاريخنا المعاصر .

ننتقل فى هذا الباب الى صلب النظرية الاسلامية للتربية .. الى أصول هذه النظرية :

ما هى أسسها الفكرية .. ؟

ما هى أسسها العملية أو ميادين عملها .. ؟

ما هى مصادر هذه التربية .. ومدى اختلافها عن المصادر الأخرى .. ؟

ونحس أن هـذا أخطـر الأبـواب ، ونستعين بالله سبحانه لمحاولة بلوغ أعماقه والاحاطة بأطرافه ، والله المستعان .

* * *

الفصل الأول

الأسس الفكرية للتربية الاسلامية
« نظرة الاسلام الى الانسان والى المجتمع »

● **اهمية هذه النظرة :**

فى أنظمة كثيرة تتفاوت النظرة للانسان ..

.. فبعضها نظرت اليه نظرة مادية بحتة ، ومن ثم كان اشباع هذا الجانب المادى هو غاية همها ، ومبلغ علمها .. وألبست ذلك ثوب النظريات العلمية ، فـ « دارون » ومن سلك سبيله قالوا بأن أصل الانسان قرد ، و« فرويد » ومن سلك سبيله فسر السلوك الانسانى تفسيرا حيوانيا بحتا .. فالطفل الرضيع يشبع غريزته الجنسية بالرضاع ، والولد يشتهى أمه فاذا حيل بينه وبينها بسلطان الأب المتسلط كانت عقدة « أوديب » .... وهكذا .

وسادة الوجودية انتهاء الى « سارتر » أطلقوا للفرد شهواته بحثا عن ذاته وتحقيقا لوجوده ، وأفرزوا فرق «الهيبيز» و «الخنافس» و « الجنس الثالث » وما تبع ذلك من علاقات شاذة تشكلت باسمها جماعات وجمعيات تطالب بحقوقها ، وسقطت بعض « البرلمانات » فى اقرار هذه العلاقات الشاذة ... وهم اليوم يعيشون بعض آثار هذا السقوط فيما تسلط عليهم من مرض « الايدز » (Aids)

الذى يعنى فقد المناعة عند هذا الصنف الساقط والذى ينتقل خلال الدم من فرد لآخر ·· والذى أصاب كذلك ذرياتهم (١) ·

·· وفى مقابل هذا التطرف كان ولا يزال تطرف آخر يعلى فى الانسان جانب الروح على حساب الجسد ، ويجعل وسيلة ذلك تعذيب الجسد مع تفاوت بسيط فى درجات ذلك التعذيب ···

وبذلك فرضت علـى الانسـان « رهبانية » خطيرة تكبت فى الانسان طاقاته ، وتصادر فطرته وطبيعته ، وكان نظام « الرهبنة » فى الأديرة هو التطبيق العملى ، وربما الأول لهذه النظرية المتطرفة ·

وكان ثمة صور مقاربة عند بعض الفرق الاسلامية التى قلدت تلك الأنظمة الغريبة أو التقت معها بحثا عن انطلاق الروح من اسار الجسد ليتحقق للمريد درجة المكاشفة ···

ومن ثم كانت صورا من الانعزال عن المجتمعات ، والتسربل فى الخرق البالية ، ومزاحمة المتسولين ومنافستهم فى مد اليد اذلالا

---

(١) تناقلت الوكالات والصحف – بطريق متواتر – تلك الأنباء ولا يزال الطب عاجزا عن مواجهة هذا المرض الخطير الذى يهدد مجتمعات الغرب،والذى تعتبر الاصابة به بداية موت بطىء ومعذب، ويقدر عدد الذين أصيبوا فيما بين عامى (١٩٨١ – ١٩٨٥) فى لوس آنجلوس ونيويورك ما بين (٦٠٠ ألف – ١ر٢ مليون) مات منهم ستة آلاف · (الشرق الأوسط – ١٨ من المحرم ١٤٠٦ هـ – ٢ أكتوبر ١٩٨٥ م – العدد ٢٥٠٠ – الصفحة الأخيرة) ·

للنفس ··· مخالفين فى ذلك كله تعاليم الاسلام الصريحة (٢) ، ومخالفين من قبلها نظرة الاعتدال التى أقامها الاسلام وجعل معها للفرد « التكريم » و « التفضيل » ·· هذا من ناحية ·

ومن ناحية أخرى ·· سقطت مجتمعات اسلامية فى تقبل أفكار غريبة عن اسلامنا الصافى :

·· ففى مواجهة موجات الانحلال والفجور ، التى انتقلت الينا من الغرب الفاجر داعية الى اباحية خطيرة ·· شجع عليها اختلاط الجنسين فى التعليم بدءا بالدراسة الجامعية وانتهاء الى مراحل التعليم المختلفة فى بعض البلاد ، أو اختلاطهم عن طريق «التليفونات» التى شاعت والمدارس التى انتشرت فأعطت فرص التغيب الطويل عن البيت ورقابته ، كذلك الاختلاط فى مجالات العمل المختلفة فى أكثر البلاد ، والاختلاط فى وسائل المواصلات المختلفة كذلك ·

---

(٢) ينهى الاسلام عن السلبية ويفرض على الفرد والمجتمعات مقاومة المنكر بالطريقة الايجابية : باليد أو اللسان وفى النهاية بالقلب ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ، وفى الحديث « من خالط الناس وصبر على أذاهم خير ممن لم يخالطهم ولم يصبر على أذاهم » ·

كذلك نهى عن التسربل فى الخرق البالية والظهور بغير الحقيقة « **وأما بنعمة ربك فحدث** » (الضحى : ١١) ، « ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » أما التسول فيكفى فيه : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، « ومن يتعفف يعفه الله » ·

وزكى الاعلام الفاجر ذاك الاختلاط وذكاه نارا بأغانيه وتمثيلياته ، ومسلسلاته ومسرحياته وأفلامه ·· كلها تدور حول كيف يلتقى الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل ، بعيدا عن العيون ، وكيف اذا رأت العيون ذلك لا تنكره ولا تستقبحه ، وكيف يمكن للفتاة أن تفلت من رقابة أهلها ان كانوا لا يزالون محافظين أو « رجعيين » ! وكيف تستطيع الزوجة أن تغرر بزوجها وتخدعه وتخونه من خلال « صديق الأسرة » الذى تفتح له الأبواب بغير تحـرج ولا استحياء ، والذى يرى من الزوجة ما لا ينبغى أن يراه الا الزوج ، بل الذى تبدو أمامه الزوجة فى أكثر الأحيان أجمل وأفضح مما تبدو أمام زوجها ·· فان استعصى « صـديق الأسرة » ففى شقيق الزوج أو ابن العم أو ابن الخال بديل صالح أو طالح !

وتدرجت الممثلات والراقصات ممن يسمونهن نجوما وكواكب ليجعلوهن فى موضع القدوة الخاطئة ـ تدرجن من تعرية جزء من الجسم الى تعرية أكثره الا العورة المغلظة ···

وتدرجن فى الأفلام من تمثيل مقدمات الزنا الى تمثيل الزنا نفسه دون ما أدنى خجل أو استحياء ·· وتدوولت تلك الأفلام أسـرع وأخطر من غيرها كالنار تسرى فى الهشيم ، وساعد المسجل المصور « الفيديو » على بلوغها كل بيت فان تعذر ففى أندية الرياضة وبعض أماكن التجمع الأخرى بديل عن البيوت !

وأغمضت الأجهزة التى تحصى « دقات القلوب » ـ ان أرادت ـ

أغمضت العين عن ذلك مشاركة أو تشجيعا أو توجيهــا .

وفيما تبع ذلك من انتشار العلاقات المحرمة ، وتعاون الأوضاع الاجتمــاعية عــلى ذلك ، وتيسير وجــود « الشقق المفروشــة » و« الجارسونيرات » ، ووجود البديل عنها فى بعض البلاد المحافظة كفنادق الدرجة الأولى التى لا تدقق فى علاقة الساكن مع من يصحبها ، وكذلك السيارات الفارهة التى تصلح غرف نوم متنقلة خاصة فى بلاد الساحات الواسعة ... وفى التفريط فى تطبيق حدود الله على تلك العلاقات المحرمة وانتهاء أكثر تلك القضايا فى مراحلها الأولى تسوية وصلحا ، تحت شعارات « الستر » و« عدم الفضيحة » ـ ووجود نصوص أخرى فى البلاد التى تأخذ بالقوانين الوضعية تبيح الزنا اذا تجاوز سن الفتاة الثامنة عشرة وتبيح الزنا للزوج فى غير منزل الزوجية وتبيحه باذن الطرف الآخر .. بل تجعل من حقه وقف الدعوى فى أى مرحلة من مراحلها بل وبعد صدور الحكم يملك التنازل فيخرج الطرف الآثم « وبراءة الأطفال فى عينيه » !

ومع هذا الفجور الموجه .. فكــريا ، واعلاميا ، وتعليميا ، واجتماعيا .. بل وسياسيا .. هانت ألفاظ الكفر على الألسنة .. اما جهلا ، واما عمدا ..من أولئك الذين حملوا مع «الجنس»و«المال» نظريات الكفر البواح المنكرة لوجود الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ والمتطاولة على مقامه الكريم .

وتعاون الغرب الفاجر والشرق الكافر ـ اما توافقا أو اتفاقا ـ

على حل المجتمعات الاسلامية ونشر الفساد والفجور والعصـيان فيها ، بغية الوصول الى اذلالها واستعبادها ، وصرفها عن دينها الذى هو عصمة أمرها !

وتزامن ذلك الفجور مع قهر وارهاب مارسته الأنظمة الحاكمـة مع الداعين الى الله سبحانه ، وسلطت عليهم ، وعلى ذويهم ألوانا من العذاب أعادت للأذهان ما كان يحدث فى عهود محاكم التفتيش ، بل جاوز الجهابذة الأبطال تلك الصور القديمـة ، واستفادوا من « تكنولوجية » العصر فى تعذيب المسلم واذلال المسلم ٠

وداس « دعاة جهنم » كل الحرمات وكل القيم ٠٠ الاسلامية ، بل والانسانية ، ويستحيل على اللسان أن يورد فى هذه السطور بعض ما شاهد صاحبها أو بعض مـا سـمع ممن يرقى فوق مسـتوى الشبهات (٣) !

٠٠ وأحدث ذلك كله ردود الفعل ٠٠

---

(٣) صدر لكاتب هذه السطور كتابان : « فى الزنزانة » ، « عندما يحكم الطغاة» وصدر فى هذا المجال كتب أخرى «نافذة على الجحيم» ، « اقسمت أن أروى » ، « البوابة السوداء » ٠٠
ومع ذلك فأعتقد أن ما كتب دون الواقع الأليم الذى عاشه أبناء الدعوة الاسلامية فى هذا الجيل المنكود ٠
راجع قضية التكفير ـ للمستشار ـ سالم البهنساوى ٠

فكان وصف للحكام بالكفر .. وقد يكون صحيحا فى بعضهم .

لكنه تجاوز ذلك الى معاونيهم .. وقد يكون كذلك صحيحا فى بعضهم .

ثم تجاوز ذلك الى الساكتين .. وهو ما قد يكون غير صحيح فى أكثرهم .

ثم تجاوز ذلك الى المجتمع كله وهو بالتأكيد غير صحيح .

واستحى البعض أن يطلق لفظ «التكفير» ، أو تحفظ ذكاء ودهاء حتى لا يتهم بالمغالاة ، أو التطرف ، فاستعمل لفظا بديلا يؤدى نفس المعنى لكنه ـ فى ظنه ـ لا يوقع فى نفس الحرج .. وكان هذا اللفظ هو « الجاهلية » .

ووصم المجتمع كله ـ لا بعضا منه ولا جوانب من نظامه ـ وصم المجتمع كله بأنه جاهلى .

ولم يرد مثل هذا الوصف فى قرآن ولا سنة ، ووصف أفراده بأنهم جاهليون ومن هنا انطلقت الصيحة .

أن لابد من البداية من نقطة الصفر ... !

لابد أن نعلم الناس أولا مدلول « لا اله الا الله » لأنهم ينطقونها وهم لا يفهمون أو لا يعقلون وأكثرهم ـ مع نطقها ـ جاهلى يغط فى الجاهلية !

..ومن هنا كانت أهمية هذا البحث ..

اننا بادىء ذى بدء لا نقر ما عليه الأفراد والمجتمعات .. لا من اغراق فى الفجور والفساد ولا من ارهاب وقسر وتعذيب .

ومن قبل ذلك لا نقر قهر الأجساد ولا رهبانيتها بحثا عن أشواق الروح ، كما لا نقر كل استجابة لأى نداء للجسد ٠

ومع ذلك لا نقر التطرف الآخر وصفا للأفراد والمجتمعات بالكفر والجاهلية ـ دون تحفظ ـ أو نداء للروح دون الجسد أو للجسد دون الروح ٠٠ « **وكان بين ذلك قواما** » ٠

وهو ما نبينه بمشيئة الله فيما يلى ذلك من سطور ٠٠

وقبل أن نمضى الى ذلك نحب أن نشير الى أن أكثر الكاتبين حرج على الحديث عن نظرة الاسلام الى الانسان ، والكون والحياة ٠٠٠ (٤) ، واذ صار هذا الحديث مكرورا ، وصار معلوما بالنسبة للقسمين الأخيرين ٠

واذا كان الغلط والخلط هو فى النظرة الى الانسان والمجتمع ، وكانت نقطة البداية فى التربية السليمة تختلف مع هذا الغلط ـ فقد رأينا الاقتصار على هذين الأمرين والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ٠

أولا : نظرة الاسلام الى الانسان

لم يكرم نظام الفرد كما كرمه الاسلام ٠

ولم يوازن بين طاقاته المختلفة كما وازن الاسلام ٠

---

(٤) راجع منهج التربية الاسلامية للاستاذ محمد قطب ، وراجع أصول التربية الاسلامية وأساليبها لعبد الرحمن النحلاوى ٠

ولم يفجر هذه الطاقات العديدة بلوغا الى الخير وتحقيقا للمثالية دون مصادرة للواقع كما فعل الاسلام .

ليس معنى ذلك « الموازنة » أو « المقارنة » بين الاسلام وغيره من الأنظمة .. لأنه لا وجه لهذه الموازنة والمقارنة لبعد ما بين الاثنين بعد الأرض عن السماء أو ما هو أكثر !

لكنه نوع من المقابلة أو البيان أو بتعبير القائل « وبضدها تتميز الأشياء » أو بتعبير ابن الخطاب « لا يعرف الاسلام من لا يعرف الجاهلية » (٥) .

وفى الكلمة التالية تفصيل ما أجملنا ، والله المستعان :

١ ـ تـــوازن :

« **الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** » (٦) .

لاشك أن الخالق أعلم بما خلق ، من هنا كانت دقة التصوير القرآنى للانسان أنه « قبضة من طين » و « نفخة من روح » .

ومن هنا رسم الاسلام للانسان خطوط حياته اقرارا بأنه قبضة من طين ، وبلوغا الى أن فيه نفخة من روح .

فمثلا : غريزة البحث عن الطعام ـ لم ينكرها الاسلام ..

---

(٥) أورد ابن القيم قول عمر بن الخطاب « انما ينقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية » .

(٦) الملك : ١٤ .

بل أقر وجودها فى الانسان واعتبر اشباعها « ضرورة أو حاجـة ، وتحسين ذلك الاشباع كماليات أو تحسينات يعترف بها « **قل من حرم زينة الله التى أخـرج لعباده والطيبات من الرزق** » (٧) •

« **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** » (٨) •

« **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** •• »(٩)

« **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** » (١٠) •

ومع ذلك فقد هذب تلك الغريزة وسما بها ••

فالبدء فى الطعام باسم الله ، والأكل مما يليه ، والحمد لله فى نهاية الطعام ومرعاة التوزيع السليم : « ثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه » •

والتحذير : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » ، « المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء » •

ومع هذا ندبه للايثـار : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » (١١) •

وندبه الى التعاطف مع الجار بحيث يعطيه مما يشم رائحته •

وندبه الى التكامل مع المجتمـع بحيث لا يبيت شبعان والى جواره جائع •

---

(٧) الأعراف : ٣٢
(٨) المؤمنون : ٥١
(٩) المائدة : ٨٧
(١٠) المائدة : ٨٨
(١١) الانسان : ٨

وحذره من جزاء الدنيا : « **اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين • ولا يستثنون • فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون • فأصبحت كالصريم** ••• » (١٢) •

وحذره من جزاء الآخرة « **فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون • الذين هم يراءون • ويمنعون الماعون** » (١٣) •

ووضع له الحدود ان جاوز اشباعا لهذه الغريزة ••

حد السرقة قطعا لليد لمن توافرت فيه الأركان والشروط ، وانتفت عنده الشبهات وفى مقدمتها عدم الحاجة •

حد الحرابة قتلا وقطعا ونفيا •• لمن قطع الطريق أو أرعب أو أرهب •

هل على وجه الأرض أحكم من هذا النظام ؟

ومثل آخر : غريزة الجنس أو الميل الجنسى ••

لم ينكرها الاسلام ، بل اعترف بهـا ، وندب الى تصريفهـا تصريفا سليماً فى صورة الزواج ، وندب الى الزواج المبكر ، والى تخفيف الأعباء التى تحول دون هذا اللقاء الشريف ••• وشرعه مرة ومرة ومرة حتى لا يكون لأحد حجة ، وجعل الصيام وجاء لمن لا يستطيع •

وجعل اللقاء بعد تأسيسه على تقوى من الله ورضوان •• جعله يبدأ باسم الله •

---

(١٢) القلم : ١٧ ــ ٢٠ (١٣) الماعون : ٤ ــ ٧

وجعل معه من الآداب ما يرتقى به ٠

وجعل النسل من ورائه غاية كريمة وشريفة : « **ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما** » (١٤) ٠

لكنه فى الوقت نفسه نهى عن كل انحراف فى هذا المجال ، ووضع له الحدود قاسية مرعبة تذهب بكل تفكير فى شهوة طارئة أو نزوة عابرة وجعل معها الجزاء الأخروى كذلك : « **ومن يفعل ذلك يلق أثاما ٠ يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا** ٠٠٠ » (١٥) ٠

ترى هل هناك نظام أحكم من ذلك ؟ !

❋ ❋ ❋

٢ ـ تكريم :

كرم الله الانسان ٠٠٠ لأنه انسان !

وكرمه الله مرة أخرى اذ أنعم الله عليه بالاسلام ٠٠

ويصل غاية التكريم اذا بلغ التقوى ٠٠

أما الأولى فقوله تعالى : « **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** » (١٦) ٠

وأما الثانية فقوله تعالى : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** » (١٧) ٠

---

(١٤) الفرقان : ٧٤
(١٥) الفرقان : ٦٨ ، ٦٩
(١٦) الاسراء : ٧٠
(١٧) المائدة : ٣

وأما الثالثة فقوله تعالى : « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (١٨) ٠

ولقد نزل منهاج التربية الربانى من الرب الأكرم لهذا الذى كرم :

« **اقرأ باسم ربك الذى خلق ٠ خلق الانسان من علق ٠ اقرأ وربك الأكرم ٠ الذى علم بالقلم ٠ علم الانسان ما لم يعلم** » (١٩) ٠

ويخطىء البعض اذ يظن التكريم واحد بين الانسان – مطلق الانسان – وبين المسلم أو المؤمن الذى من الله عليه بنعمة الاسلام حتى أنهم ليعتبرون أن منهج التربية الاسلامى جاء لهذا الانسان ٠٠

لكنا نبادر فنصحح : ان تكريما للانسان لأنه انسان وارد بالنص الأول كما أشرنا ٠

لكن تكريم المؤمن أعظم : ذاك ما جرت عليه النصوص السابقة ٠٠

ونضيف اليها : « **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** » (٢٠) ٠

« **وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ، قليلا ما تتذكرون** » (٢١) ٠

ذاك نص ٠٠٠٠

ونص كذلك خطير : انه يجعل حرمة المؤمن أعظم من حرمة بيته الحرام :

---

(١٨) الحجرات : ١٣ — (١٩) العلق : ١ – ٥

(٢٠) سورة ص : ٢٨ — (٢١) غافر : ٥٨

مر رسول الله ﷺ بالكعبة يوما فقال : « ما أعظمك وأعظم حرمتك ، والله لحرمة المؤمن اعظم عند الله من حرمة بيته المحرم » (٢٢) .

ذلك بالتأكيد ما لم يعيه حتى الآن كل النساسة ، ومالم يعيه حتى الآن الكثيرين المربين !

وتفريعا على ذلك التكريم ..

فقد خصه الله سبحانه وتعالى بالعقل ، وهو الذى يشير اليه القرآن بالفؤاد فيما نظن .. والله أعلم (٢٣) .

وخصه مع العقل أو بعد العقل بالعلم : « **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين** » (٢٤) .

وقبلها : « **اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم** » (٢٥) .

---

(٢٢) رواه ابن ماجة ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال فى التقريب : ضعيف .

(٢٣) العقل والقلب والنفس والفؤاد والروح ـ فى ظننا أسماء متعددة لمفهوم واحد ويغلب اسم على آخر تبعا للجانب الذى نهتم به ـ فاذا كان الحديث عن التفكير أطلق : العقل ، واذا كان عن العاطفة أطلق : القلب .. وهكذا . راجع بحثا لنا تحت الطبع باذن الله « منهج التفكير الاسلامى » .

(٢٤) البقرة : ٣١

(٢٥) العلق : ٣ ـ ٥

ومعها : « **الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان . علمه البيان** » (٢٦) .

وفى الأولى يمن على الانسان بالخلق وبعدها يمن عليه بالعلم .

وفى الثانية يمن على الانسان بالعلم ، ثم يمن عليه بالخلق ، ثم يعود الى العلم مرة أخرى ليؤكده ..

ومع هذا كله : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » (٢٧) .

« **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب** » (٢٨) .

« **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ..** » (٢٩) .

وتفريعا على ذلك التكريم كذلك ما نقوله فى الثالثة (٣٠) .

* * *

٣ – تفجير الطاقات :

فأول طاقة ، طاقة التقوى : « **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ..** » (٣١)

---

(٢٦) الرحمن : ١ – ٤
(٢٧) فاطر : ٢٨
(٢٨) الزمر : ٩
(٢٩) آل عمران : ١٨
(٣٠) ومن التكريم للانسان المسلم استخلافه فى الأرض ..
« **واذا قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة .** » (البقرة : ٣٠)
« **وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ...** » (الانعام : ١٦٥) .
(٣١) الشمس : ٧ – ١٠

انه أولا يضع الأمر موضع الفطرة : فى النفس الفجور والتقوى ثم يطالبه بتفجير طاقة التقوى « **قد أفلح من زكاها** » .

وثانى الطاقات : طاقة العلم ، وقد أشرنا ، الى بعض النصوص فيما سبق . ونشير هنا الى ربط هذه الطاقة بالطاقة السابقة : « **واتقوا الله ، ويعلمكم الله** » (٣٢) .

وثالث الطاقات : متفرعة عن الثانية : تسخير السموات والأرض : « **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** » (٣٣) .

« **كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم** » (٣٤) .

« **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** » (٣٥) .

وتبلغ آيات الاشارة الى التسخير حول عشرين آية (٣٦) .

هذا التسخير يدفع علماء المسلمين الى اكتشاف ما فى الكون من آيات ، ويتعبدون الله بذلك ، مما جعلهم فى الماضى أئمة العلم فى كل فروعه ، وأصحاب المذهب التجريبى الذى أخذته عنهم أوروبا ، وأصحاب أول جامعات عرفها العالم وعرفت من خلالها النور فى حوض البحر الأبيض المتوسط !

ذاك هو الانسان الذى عرفه الاسلام ، وعرفه لنا حتى نكونه . بيد أننا نؤكد أنه وان كرم الانسان فى ذاته لانسانيته ، فانه

---

(٣٢) البقرة : ٢٨٢

(٣٣) الجاثية : ١٣

(٣٤) الحج : ٣٧

(٣٥) الحج : ٣٦

(٣٦) المعجم المفهرس مادة (سخر) .

تكريمه لتقواه بعد اسلامه وايمانه هو بلا شك آكد ، ذلك الانسان هو الذى أعده الله لتلقى الأمانة •

* * *

٤ ـ استعداد لتلقى الأمانة :

ذلك الانسان الذى خلقه الله قبضة من طين ونفخة من روح ••
ذلك الانسان الذى كرمه ربه بانسانيته ، ثم كرمه بايمانه ، ثم كرمه بتقواه ••

ذلك الانسان الذى خصه ربه بطاقات القدرة على التعلم والقدرة على تسخير السموات والأرض •• هذا الذى أهله ربه لحمل الأمانة :

« واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » (٣٧) •

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ••• » (٣٨)

« فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله •• » (٣٩)

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا » (٤٠)

* * *

---

(٣٧) الأعراف : ١٧٢ (٣٨) البقرة : ٣٠
(٣٩) الروم : ٣٠ (٤٠) الأحزاب : ٧٢

ثانيا : نظرة الاسلام الى المجتمع

● **تقدمة :**

اعتاد الكتاب فى مواضع كثيرة اذا أرادوا أن يتحدثوا عن نظرة الاسلام الى أمر من أمور المجتمع أن يقدموا لهذا الحديث بحديث عن التصور الاسلامى للكون والانسان والحياة ·· حتى صار هذا الحديث مكرورا ومعروفا ··

وقد درج بعض الكاتبين فى مجال التربية كذلك على مثل هذا الحديث ·

ولئن كان فى مثل هذا الحديث خير ·· الا أن تكراره فى كل مجال هو أشبه بمن سئل عن مسألة من مسائل الفقه الاسلامى فراح يقدم بالحديث عن أصول الفقه ·· كل أصول الفقه !

واذا كنا نتحدث فى مجال التربية ·· فان الأولى – فى ظنى والله أعلم – أن نتحدث على من تقع عليهم التربية ··

وهما صنفان : الفرد ·· والمجتمع ·

والفرد قد يكون ·· رجلا أو امرأة ·· شيخا أو شابا أو طفلا ·

والمجتمع قد يكون مجتمع « كفار » ، أو مجتمع « أهل كتاب » ، أو مجتمع « مسلمين » ·

واذ كنا فى مجال « التربية الاسلامية » فاننا نعنى بالفرد : الفرد المسلم ·

ونعنى بالمجتمع : المجتمع المسلم ·

أما ما عدا ذلك فهى دوائر يعتنى بها الاسلام فى مجال الدعوة ، وهو مجال غير مجال التربية ، فالأول أعم ، والثانى أخص - أو هو الدعوة فى مرحلتها الأولى : التبليغ - فاذا تمت انتقلت فى مرحلتها الثانية الى التكوين ، والتكوين يكون بالتربية والتزكية وتعلم الكتاب !

بيد أن قوما من قومنا - أكثرهم عن اخلاص - وكرد فعل لما مورس فى أوطاننا من قهر وارهاب وتعذيب ، وما جرى فيها من فسق وفساد وفجور .. كلاهما فاق التصور العادى كما وكيفا ....

نقول : ان قوما من قومنا - بدوافع أكثرها طيب - راحوا يطلقون على الأفراد المسلمين أوصافا ما كانت معهودة من قبل .. فوصف المسلم بالكفر أو بالجاهلية ، ووصفوا المجتمع كذلك بالكفر أو بالجاهلية .

وبادىء ذى بدء فاننا ننكر على الذين مارسوا القهر والارهاب والتعذيب ما اقترفوا ، ونبشرهم اذ لم يتوبوا بعذاب جهنم وعذاب الحريق ..

كذلك ننكر على الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا بما يمارسون أو يدعون من فسق وفساد وفجور - ننكر عليهم فسقهم وفسادهم وفجورهم ، ونبشرهم كذلك بعذاب أليم فى الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

وبرغم ذلك فنحن لا نقر الذين سارعوا فيهم فوصفوهم بالكفر أو بالجاهلية ٠٠ أما لماذا ؟ ٠٠ ففى الكلمات التالية الجواب باذن الله ، والله المستعان ٠

***

● الكفر والجاهلية وصفان شرعيان :

الكفر وصف شرعى يترتب على القول به أحكام معينة ومحددة ٠٠

فالكافر بالنسبة للمسلمين ٠٠ لا يزوج ، وان كان متزوجا طلقت زوجته وفرق بينهما ٠٠

والكافر بالنسبة للمسلمين ٠٠ لا يرث ولا يورث ٠٠

والكافر بالنسبة للمسلمين ٠٠ لا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين ٠٠

٠٠٠ تلك كلها ، أحكام فردية أو « شخصية » ، وهناك أحكام أخطر ٠٠ انه يحل دمه ، ويحل ماله ان كان محاربا ٠٠

وان كان مع غيره يشكل مجتمعا ٠٠ فلا يصح الاقامة بين ظهرانيهم أخذا بظاهر الحديث «أنا برىء من كل مسلم أقام بين ظهرانى المشركين » ٠٠٠ الى غير ذلك من أحكام ٠

ومن ثم كان اطلاق الكفر على المسلم ٠٠ أمرا خطيرا ٠

والأخطر منه أنه اذا لم يكن الوصف أو الحكم صحيحا ، فقد باء بالكفر من أطلقه لقول رسول الله ﷺ : «اذا قال الرجل لأخيه : ياكافر ، فقد باء بها أحدهما ، فان كان كما قال والا رجعت عليه » (١)

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة ، وانظر رياض الصالحين للامام النووى ص ٦٥٦ ٠ طبع دار المأمون للتراث ٠

• والجاهلية كذلك وصف شرعى :

جاء استخدامه فى القرآن اربع مرات :

الأولى فى سورة آل عمران (الآية : ١٥٤) مقرونة بالظن ، أو وصفا لهذا الظن : « **يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية** » (٢) •

والثانية فى سورة المائدة (الآية : ٥٠) مقرونة بالحكم أو وصفا لهذا الحكم : « **أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** » (٣) •

والثالثة جاءت فى سورة الأحزاب (الآية:٣٣) مقرونة بالتبرج أو وصفا لهذا التبرج : « **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (٤) •

وهنا ورد قيد آخر هو وصف الجاهلية بأنها أولى (٥) ـ وقد

---

(٢) جاءت هذه الآية فى شأن فريق من المسلمين عاب عليهم ظنهم ، وقد اختلف هل كان هذا الظن نفاقا أو ضعف ايمان ،والجمهور على الرأى الأول (أنه نفاق) والاستاذ أحمد أمين عبد الغفار يرجح الثانى (الجاهلية قديما وحديثا ص ٨٨ وما بعدها) •

(٣) قيل فى مناسبة الآية الكريمة أنها تعقيب على التمييز بين الأبناء فى المعاملة ، وقيل على التمييز بين الضعيف والشريف ، فكانت نهيا عن ذلك ـ ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخوص السبب ففيها انكار لكل حكم ينحرف عن حكم الله •

(٤) قيل فى التبرج خمسة أقوال تتفاوت بين الاثارة فى المشية أو الاثارة فى كشف ما امر الله أن يستتر •

(٥) قيل فى لفظ الأولى أربعة أقوال : أنها ما بين زمان عيسى ومحمد ، وقيل زمان ابراهيم ، وقيل ما بين آدم ونوح ، وقيل ما بين نوح وادريس عليهم صلوات الله وسلامه •

أخطأ البعض فهم المقصود من « الأولى » فعبروا عن جاهلية بأنها ثانية .. وعبر آخرون بأنها « عشرون » !

والرابعة وردت فى سورة الفتح (الآية : ٢٦) مقرونة بالحمية أو وصفا لهذه الحمية : « **اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية** » (٦) .

وقد تعرض لمعنى الجاهلية الامام البخارى ـ رحمه الله ـ (٧) فقال « المعاصى من أمر الجاهلية » ..

ثم تعرض لذلك المستشار حسن الهضيبى ـ رحمه الله ـ (٨) فجعلها شاملة للكفر وشاملة للمعاصى (٩) .

وتعرضنا لها كذلك فى موضع آخر (١٠) .

---

(٦) قيل فى الحميــة الجاهلية : انهــا العصبية لآلهتهم ، أو الأنفة من الاقرار بالرسالة والاستفتاح بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٧) الامام البخارى رضى الله عنه فى صحيح البخارى جـ١ ص١٤ .

(٨) فى كتابه القيم « دعاة لا قضاة » .

(٩) يقول رحمه الله : والجاهلية كالضلال والعصيان والفسوق والظلم من الألفاظ التى استعملت فى القرآن الكــريم وفى الأحاديث النبوية ، ولكن الخروج على أحكام الدين ذلك الخروج الذى لايبلغ أحيانا حد الخروج على الملة ، وأحيانا يبلغ حد الخروج على الملة والردة عن الاسلام قال عليه الصلاة والسلام لأبى ذر الغفارى رضى الله عنه : « انك امرؤ فيك جاهلية » ويعلق البخارى الذى أورد الحديث : « المعاصى من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك » البخارى جـ١ ص ١٤ .

(١٠) المشروعية الاسلامية العليا ، للمؤلف .

ونود هنا أن نقول ان الآيات الكريمة قد قرنت الجاهلية بما يقيدها ولا يطلقها .

وان أحاديث رسول الله ﷺ كذلك فعلت ..

فهل يصح اطلاق الجاهلية دون تقييد ؟

نعتقد أنها ان أطلقت دون تقييد فانها تستر معنى الكفر .

ذلك أنها تشمل فى هذه الحالة : العقيدة .. كما تشمل الأخلاق .. كما تشمل العبادات ..

كما تشمل سائر ما فى المجتمع ومن فى المجتمع ، والعام ينصرف الى جميع أجزائه قطعا ..

ومن ثم يصير المجتمع ان وصف بالجاهلى : جاهلى العقيدة ـ جاهلى الأخلاق ـ جاهلى العبادات ـ جاهلى المعاملات والأحكام .. وهو وصف خطير وحكم خطير ..

ذلك : أن جاهليـة العقيدة .. لا تفسير لهـا .. غير الكفر ... والباقى قد يكون خليطا بين الكفر والمعاصى .

ومن ثم يصير الوصفان « الجاهلية » و« الكفر » مترادفين أو متقاربين ان أطلقا دون تحديد !

فهل يصح وصف مجتمعاتنا الحالية باحداهما أو بكليهما ؟ !

ذلك ما نجيب عليه فيما يلى من سطور باذن الله ..

• لا نقر الفجور ولا العصيان ‥ ولا نقر البغى والعدوان :

هلم الله انا ـ باذن منه وفضل ـ حرب على الفجور والعصيان • كذلك نحن حرب على البغى والعدوان فلا نقر ـ باذن الله ـ ما تساقط فيه قوم من قومنا من معصية الله ورسوله بلغت حد الفجور دعوة أو ممارسة أو تطبيقا •

لا نقر ما وقعت فيه مجتمعاتنا نتيجة الغزو الفكرى والعقدى والتربوى من خروج على أمر الله يبلغ حيناً حد الكفر ويبلغ أحيانا حد الفسوق والفجور ‥ مما نشهده على الشاشات الصغيرة والكبيرة ، ومما نراه مبثوثا خلال الملاهى وأماكن الفجور ، وحانات الخمر ، ومما انتقل نزعا للحياء من الشارع نفسه تهتكا وتبرجا •

ولا نبرىء أولئك الذين تولوا كبره : « **والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم** » (١١) ‥ سواء أكانوا فى موقع التوجيه الاعلامى ، أو الثقافى أو التربوى ‥‥

أو كانوا فى موضع السلطة يسمحون ويقرون ويعطون القدوة السيئة من أنفسهم فى حياتهم الخاصة ، وأحياناً يجاوزون الى الأمر بذلك والى حمايته اذا أحسوا غفلة الشعوب •

ولا نقر كذلك ما مارسه البعض من الحكام ـ وان كان كثيرا ـ من حرب لدعوة الله سبحانه وتعالى وللداعين اليها ‥ حربا بلغ فى الهبوط حدا من الخسة لم يعهدها الناس من قبل ، وبلغ من الفسق

---

(١١) النور : ١١

حدا فاق تصور الكثيرين ••• أمرا حاولنا تصويره فنجحنا حينا ولم نبلغ الهدف أحيانا ! (١٢) •

وحتبنا فى ذلك أنهم « أهل النار » أو هم « دعاة النار » •

ذاك وصف نبينا ﷺ وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى : « صنفان من أمتى من أهل النار لم أرهما : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يشممن ريحها ، ورجال يمسكون بسياط كأذناب البقر يعذبون بها الناس » (١٣) •

•• فهل بعد هذا الخير من شر ؟

قال رسول ﷺ : « دعاة على أبواب جهنم •• من أجابهم اليها قذفوه فيهـا •• قال : صفهم لنا يا رسول الله ؟ قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بلساننا » (١٤) ••

وقد عشنا ورأينا •••• أهل النار ••

وعشنا ورأينا •• دعاة جهنم •• وانا لله وانا اليه راجعون !

---

(١٢) نشير بذلك الى ما سجلناه فى كتابنا « فى الزنزانة » و « عندما يحكم الطغاة » وما سجلته الوثائق المنشورة فى كتابنا « دعاة لا بغاة » وان كنا نعترف أنا قد قصرنا عن بلوغ الهدف أو قصرنا فيه •

(١٣) رواه أحمد ومسلم •

(١٤) جزء من حديث رواه حذيفة بن اليمان ــ متفق عليــه (رواه البخارى ومسلم) •

ونحن اذ لانقر ذلك التطرف من أولئك وهؤلاء ..
لا نقر التطرف المقابل .. لأكثر من سبب .

أولا – مخالفة صحيح الحكم الشرعي :

فالمسلم يحكم باسلامه اذا شهد أن لا اله الله وأن محمدا رسول الله ، ويحكم باسلامه بميلاده من أبوين مسلمين (١٥) .

ولا يكفر برأى أو معصية .. الا أن يأتى قولا أو فعلا هو من الكفر بيقين .

ذلك أن الاسلام يثبت بيقين بالشهادة فلا يزول كذلك الا بيقين ...

وقد تضافرت الأدلة ، وتواترت – معنويا – على الحكم للمسلم بالاسلام بشهادته أن لا اله الا الله ...

ذاك فعل الرسول ﷺ طوال حياته ..

ثم هو قول الرسول ﷺ فى أكثر من موضع : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله ، ويؤمنوا بى وبما جئت به فمن قال : لا اله الا الله فقد عصم منى نفسه وماله الا بحقه وحسابه على الله » (١٦) .

---

(١٥) راجع « دعاة لا قضاة » للمستشار حسن الهضيبى رحمه الله .

(١٦) ورد بطرق كثيرة بالفاظ مختلفة حتى قال البعض انه متواتر – مختصر شعب الايمان للبيهقى ص ٢ وما بعدها – أخرج الحديث مسلم وأحمد وأبو داوود والنسائى .

« حدث أسامة بن زيد بن حارثة : بعثنا رسول الله ﷺ الى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم قال : فلما غشيناه قال : « لا اله الا الله » ، فكف عنه الأنصارى فطعنته برمحى فقتلته ، قال : فلما قدمنا بلغ النبى ﷺ فقال لى : يا أسامة ، أقتلته بعد أن قال «لا اله الا الله» ؟ قلت : يارسول الله ، انما كان متعوذا ، قال : أقتلته بعد أن قال « لا اله الا الله » ؟ فمازال يكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » (١٧) .

« حدث المقداد بن عمرو الكندى – وهو ممن شهد بدرا – قال : يارسول الله ، ان لقيت كافرا فاقتتلنا فضرب يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال أسلمت لله آقتله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله ﷺ : لا تقتله ، قال : قلت ، يارسول الله ، فان طرح احدى يدى ثم قال ذلك بعدما قطعها آقتله ؟ قال : لا تقتله ، فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال » (١٨) .

« يخرج من النار من قال « لا اله الا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال «لا اله الا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال « لا اله الا الله » وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة » (رواه البخارى)

---

(١٧) متفق عليه رواه أبو هريرة .

(١٨) رواه البخارى .

« ... من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق » (١٩) ٠

هذا الى ما ثبت من اجماع أنه يترتب على الشهادتين ـ أى النطق بهما ـ دخول الاسلام وعصمه الدم والمال ويكفر تاركها بالاتفاق (٢٠)٠

وهو من بعد ذلك اجماع الأمة من لدن رسول الله ﷺ حتى اليوم لم يخالف عنه الا فرقتين خرجتا على ذلك الاجماع ٠٠ ليسوا من أهل السنة : الخوارج والمعتزلة ٠

فالأولون كفروا الناس بالمعصية ٠٠

والآخرون جعلوهم فى منزلة بين المنزلتين !

وفى هذا المضمار نسوق قول الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه : « واعلم أن شرح ما يكفر وما لا يكفر يستدعى تفصيلا طويلا فاقنع الآن بوصية وقانون :

أما الوصية : فهى أن تكف لسانك عن أهل القبلة ما داموا قائلين « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » غير مناقضين لها ، والمناقضة تحصل بنحو تجويزهم الكذب على رسول الله ﷺ :

---

(١٩) رواه البخارى وهو جزء من حديث طويل ٠

(٢٠) الايمان لابن تيمية ص ١٠٧ ـ والاعتصام للشاطبى ج ٣ ص ٢٧٨ ـ العقيدة الاسلامية لأبى زهرة ص ٧٤ ـ الايمان الحق ص ٢٨ ـ ٣٠ ، للمؤلف ٠

أما القانون : فاعلم أن النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول العقائد ، وقسم يتعلق بالفروع .

وأصول الايمان ثلاثة : هى الايمان بالله ، والايمان برسوله ، والايمان باليوم الآخر .. وما عدا ذلك فروع .

واعلم أنه لا تكفير فى الفروع الا فى مسألة واحدة ، وهى : أن ينكر حكما ثبت عن النبى ﷺ بالتواتر القاطع وأجمعت عليه الأمة بسائر طوائفها كانكار وجوب الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو القبلة » (٢١) .

وفى مكان آخر : « وينبغى الاحتراز من التكفير ما وجد اليه سبيلا ـ فان استباحة الدماء والأموال من المصلين الى القبلة المصرحين بقول « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » خطأ ، والخطأ فى ترك

---

(٢١) راجع الامام الغزالى «فيصل للتفرقة بين الاسلام والزندقة» ـ فى نفس المعنى !

وراجع الامام عبد الجليل عيسى « ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين » .

وراجع الامام حسن البنا « رسالة التعاليم » .

وراجع الامام حسن الهضيبى « دعاة لاقضاة » ص ٥٣ ، ١٢٧

وراجع الامام محمد ابو زهرة « العقوبة فى الاسلام » ص ٢٠٣

ألف كافر فى الحياة أهون من سفك محجمة من دم مسلم » (٢٢) .

ويروى عن الامام على رضى الله عنه : « اذا قال كلمة تحتمل الكفر من مائة وجه وتحتمل الايمان من وجه واحد فانه لا يحكم بالكفر » .

وعليه اتفق العلماء أنه لا يفتى بردة مسلم اذا فعل فعلا أو قال قولا يحتمل الكفر ويحتمل غيره (٢٣) .

● **لا يلزم بعد الشهادة أو مع الشهادة شرط زائد :**

ذهب البعض نتيجة التفريط الواقع فى المجتمعات ـ الى القول بشرط زائد لصحة الاسلام بعد النطق بالشهادة ، فاشترطوا العمل بمقتضاها ، واستند بعضهم الى الأثر القائل : « ليس الايمان بالتمنى ، لكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » ـ وفى تكملة للأثر « وان أناسا غرتهم الأمانى وقالوا : نحسن الظن بالله ، وكذبوا! لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » .

وقد وقعوا فى خطأ وخلط كبيرين ..

ذلك أن رسول الله ﷺ فى كل ما نقل عنه ، لم يكن يشترط للدخول فى الاسلام شيئا غير الشهادة ، وكان يقول : « قولوا لا اله الا الله تفلحوا » (٢٤) .

هذا من ناحية ..

---

(٢٢) الاقتصاد فى الاعتقاد . ص ١٢١ .
(٢٣) أستاذنا الامام محمد أبو زهرة « العقوبة » ص ٢٠٢ .
(٢٤) كتب السيرة : ابن هشام وابن كثير .

ومن ناحية أخرى فقد ثبت أنه قال لعمه أبى طالب وهو مشرف على الموت : « قل لا اله الا الله ·· أشهد بهـا لك عند الله » (٢٥) — ولو كانت هذه لا تكفى لمـا طلبها بالحاح رسول ﷺ — ولم ينطق ابو طالب ، ونزل قول الله سبحانه بعد اذ رفض النطق بالشهادة **« ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم · وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه · ان ابراهيم لأواه حليم »** (٢٦) ·

وأخيرا فان الأثر الذى يحتج به ليس بحديث (٢٧) ، وانما يرجح أنه قول للحسن البصرى أو لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه — والله أعلم ، ومع ذلك فمناقشة الأثر لا تدل على أن ثمة شرط زائد للدخول فى الاسلام بعد « لا اله الا الله محمد رسول الله » — وانما تدل على مفهوم الايمان عند أهل السنة أنه قول واعتقاد وعمـل ، وأن العمل جزء من الايمان وافتقاد هذا الجزء لا يترتب عليه القول بالكفر ، وانما يترتب عليه القول بنقص الايمـان عند أكثر العلماء ، فالايمـان يزيد وينقص ، يزيد بالطـاعات وينقص بالمعـاصى ،

---

(٢٥) البخارى ج ٢ ص ١١٩ ·
(٢٦) التوبة : ١١٣ ، ١١٤ ·
(٢٧) راجع كتب الحـديث ، وراجع المرشد العـام للاخوان المسلمين حسن الهضيبى : « دعاة لا قضاة » ص ٤٣ وما بعدها · ط دار السلام ، بيروت (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) ·

والطاعات والمعاصى أعمال ، أو يقال : انتفى الايمان وبقى الاسلام كما فى الأثر : « اذا زنى العبد خرج الايمان فكان على رأسه فاذا أقلع رجع اليه » .

وكذلك قول الله تعالى : **« قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم »** (٢٨) .

وقال فريق ثالث : يوصف بكفر دون كفر ، أو كفر أصغر ، أو كفر غير مخرج من الملة ..

وفرقوا بذلك بين النوعين : أصل الكفر أو الكفر الأكبر أو الكفر المخرج من الملة والنوع الذى أشرنا اليه ، وذلك تأسيسا على أن للايمان أصلا وفرعا فاذا انتفى الأصل كان الكفر الأكبر أو المخرج من الملة ، واذا انتفى الفرع كان الكفر الاصغر أوغير المخرج من الملة أوكفر دون كفر وهو تعبير دقيق يؤكده استعمال القرآن والحديث لألفاظ الكفر والفسق والظلم فى الأصل وفى الفرع ، ويكون التمييز بينهما بالتعبير السابق والله أعلم (٢٩) .

---

* * *

(٢٨) الحجرات : ١٤

(٢٩) راجع بحثا متواضعا لصاحب هذه الكلمات «الايمان الحق» ص ٨٢ ، ٨٣ فقد سمى القرآن الشرك ظلما ، وسمى اللمز والغيبة ظلما ، فهل يستوى الظلمان ؟ وسمى مخالفة ابليس فسقا ، وسمى رمى المحصنة فسقا ، فهل يستوى الفسقان ؟ وسمى جحد آياته وقتل أنبيائه كفرا ، وسمى الحلف بغير الله كفرا ، فهل يستوى الكفران ؟

ثانيا – تكفير المجتمعات وتجهيلها لا يتفق مع أسلوب الدعوة ولا أسلوب التربية :

ذلك أن القرآن علمنا هذا الأسلوب : « **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** » (٣٠) •

« **لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا ، قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون** » (٣١) •

« **وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين • قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون** » (٣٢) •

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » (٣٣) •

« بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » (٣٤) •

وفى خطاب ابراهيم عليه السلام لابيه خير تطبيق : « **اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا • يا أبت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا • يا أبت لا تعبد الشيطان ، ان الشيطان كان للرحمن عصيا •**

---

(٣٠) طه : ٤٤
(٣١) الأعراف : ١٦٤
(٣٢) سبأ : ٢٤ ، ٢٥
(٣٣) آل عمران : ١٥٩
(٣٤) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى ، واللفظ لمسلم •

ياأبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليـا » (٣٥) .

وفى مجال التربية وعمودها الأساسى التزكية وفى التزكية معنى التنمية ، كما أن فيها معنى التطهير ، فان المربى يطهر الشىء الفاسد . ويبقى على الشىء الصالح وينميه ويزيد منه : « **قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها » (٣٦) .**

وفى مجال البناء والتنمية يضرب لنا رسول الله ﷺ المثل الطيب فهو يأخذ قولا قيل فى الجاهلية : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فيكمله بما يطهره ... يقول : أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ فيقول الرسول المربى الكريم ﷺ : **تقصره عن ظلمه » (٣٧) .**

ويأتيه حكيم بن حزام رضى الله عنه فيقول : أرأيت أشياء كنت أتحنث بها فى الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم فهل من أجر ؟ ، فيقول له النبى ﷺ : « أسلمت على ما سلف من خير » (رواه البخارى) .

وفى رواية لمسلم « أسلمت على ما أسلفت من خير » .

وفى حديث رسول الله ﷺ عن حلف الفضول : « لو دعيت اليه فى الاسلام لأجبت » .

وفى قوله لابنة حاتم : « ياجارية : هذه صفة المؤمنين حقا ، ولو

---

(٣٥) مريم : ٤٢ — ٤٥ (٣٦) الشمس : ٩ ، ١٠

(٣٧) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٦١ .

كان أبوك قدمنا لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق ، والله يحب مكارم الأخلاق » (٣٨) .

وفى صوم يوم عاشوراء التى كانت تصومه قريش فى الجاهلية (٣٩) .

وفى اقراره كثيرا من مناسك الحج التى كانت قبل الاسلام .

وفى الزام عمر تجار أهل الذمة بما كان يؤخذ منهم قبل الاسلام (٤٠) .

كل ذلك وغيره يلقى ضوءا على منهج التربية فى الاسلام .

أنه منهج بناء لا هدم .

أنه منهج تنمية للخير لا تنكر له ولا اجتثاث له !

ومن هنا فمنطق أولئك الذين يريدون البدء من الصفر منطق لا يتفق مع منهج التربية السليم .

* * *

ثالثا ـ الخلط بين مجتمعات المسلمين والأنظمة الحاكمة لهم :

لا نبرىء الأنظمة الحاكمة بغير ما أنزل الله من الخروج عن شرع الله ..

---

(٣٨) المرجع السابق ص ٨٠

(٣٩) البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ .

(٤٠) مالك فى الموطأ ، وفى : « الجاهلية قديما وحديثا » ص ٢٠٦ وما بعدها .

لكن هذا الوصف لا ينبغى أن ينسب الى المحكومين :

فانهم أولا يشهدون أن « لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله » ـ وقد فصلنا القول فيها ٠٠

وهم يقيمون ـ فى أغلب الأحيان وفى معظمهم ـ شعائر الاسلام٠

واذا كان الرسول ﷺ قد أمر بالكف اذا سمع الأذان ، فما بالنا ونحن نسمع مع الأذان شعائر أخرى كثيرة بعضها فى الدين فرائض وأركان !

وفى هذه المجتمعات من ينكرون على الأنظمة بأيديهم ٠٠

ومنهم من ينكرون بلسانهم ٠٠

وكثير ينكرون بقلوبهم ٠٠٠ وكل ذلك داخل دائرة الايمان فكيف تنزع عنهم هذه الصفة التى أضفاها عليهم رسول الله ﷺ؟!

* * *

● الجاهلية فترة وليست حالة :

عبر القرآن عن فترة ما قبل الاسلام بالجاهلية ٠٠

وعبر عنها مرة بالجاهلية الأولى اشارة ـ عند بعض المفسرين ـ الى جاهلية سبقت لما قبل الاسلام مباشرة ٠٠

وارتأى البعض أنها ملة أو وصف٠٠ومن ثم يمكن أن تتجدد٠٠

ونقدر لهذا البعض اخلاصهم ونقدر لهم اجتهادهم الذى لابد أن ينالهم منه أجر ـ ان شاء الله ـ ولكننا نرى أن الوصف المطلق قد انتهى ببدء الاسلام منعا من الخلط ، وابعادا للبس ٠

ونزولا على استعمال الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان الذى أقره عليه رسول الله ﷺ » فقد سأل رسول الله ﷺ :

كنا فى جاهلية وشر ، فأتانا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ . قال : نعم . فقال : فهل بعد هذا الشر من خير ؟ . قال : نعم وفيه دخن . قال : فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم : دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها ...... » (الحديث) .

فنلحظ أنه عندما تكلم عما قبل الاسلام ذكر لفظ الجاهلية ، وعندما تكلم عما بعد الاسلام لم يذكر لفظ الجاهلية ، وانما ذكر الشر ..

وعلى ذلك فتبقى الجاهلية المطلقة ، أو « المجتمع الجاهلى » قاصرا على فترة ما قبل الاسلام ..

أما ان أردنا استعمال الوصف فيكون بصفة جزئية لا بصفة عامة ولا مطلقة ، كما قال الرسول ﷺ : « انك امرؤ فيك جاهلية » ..

أو كما قال : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » .

أو نقول مجتمع عاداته جاهلية .. أو فيه جاهلية .

لكن لا ينبغى اطلاق القول بأنه مجتمع جاهلى .. فتلك أمة قد خلت ، حتى لا يقع اللبس ولا يقع الخلط ، ولا يستتر القول وصفا بالكفر يتحرج صاحبه أو يترفق !

* * *

الفصل الثانى

الأســس التربوية الاسلاميــة

أو الأسس العملية فى منهج التربية الاسلامية

● توطئـــة :

هذا ــ لعمرى ــ أهم الفصول ·· لأنه يقدم الاسس التى تقوم عليها عملية التربية ، وهى التى تفرق التربية الاسلامية عن غيرها من ألوان التربية الأخرى ·

فلئن اعتمدت مناهج التربية الأخرى « التثقيف » والتكيف مع البيئة ، واعداد المواطن الصالح فأن منهجنا يعتمد أسسا أخــرى مغايرة ، لتحقيق أهداف أخرى مغايرة ، مستمدا ذلك من مصادر أخرى مغايرة ·

وأول ما يعتمده منهجنا هو تربية الفــرد على « الاستجابة » لله والرسول ·

وهو الذى عنته الآية الكريمة التى حددت مهمة الرسول ﷺ « **يتلوا عليهم آياته** » (١) ·

وثانى ما يعتمده هذا المنهج الكريم هو « التزكية » وبها ينفرد المنهج الاسلامى تفردا كاملا « **ويزكيهم** » ·

---

(١) آل عمران : ١٦٤ ، الجمعة : ٢

والتزكية عملية لها جانبها السلبى الذى تقوم به ، وجانبها الايجابى الذى تقوم به كذلك .

وهى تزكيـة « مبرمجة » تبدأ بالعقيدة ، وتثنى بالأخـلاق ، ثم تهتم بالتعبد ‥ وأخيرا تزكى بالمعاملات وما يليها من آداب وأحكام .

والقائم على التزكية عليه واجبات : الصبر ‥‥ وهو صبر عن ، وصبر على ‥

وله جانبه السلبى ، وجانبه الايجابى ‥

ثم عليه الرعاية والدأب ‥

ثم عليه الاعراض عما يلفت عن تنفيذ ذلك المنهج الكريم ‥

وذلك يجمعه قول الله تعالى : « **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** » (٢) .

وثالث ما يعتمده المنهج هو « التعليم » ‥ وهو تعليم يخالف المناهج القائمة .

انه يقوم على تعليم الكتاب وعلى تعليم الحكمة « **ويعلمهم الكتاب والحكمة** » .

---

(٢) الكهف : ٢٨

الأساس الأول : الاستجابة لله وللرسول

ان أول ما يعنى به منهج التربية الاسلامى ، هو تعويد الفرد المسلم الاستجابة لله وللرسول ، ذاك نجده من خلال نصوص كثيرة ثم من خلال سلوك رسول الله ﷺ وأصحابه فى هذا المضمار ·

فأمر الله سبحانه وتعالى لرسوله ، ومن بعده كل مسلم : «**اقرأ باسم ربك الذى خلق**» (٣) · يعنى التنفيذ ·· وقد التزم رسول الله ﷺ بذلك التنفيذ ـ والقصة معروفة ·

وأمر الله سبحانه وتعالى لرسوله ، ومن بعده كل مسلم : « **يا أيها المزمل · قم الليل الا قليلا** » (٤) ·

يعنى طلبا لابد من الاستجابة له ، وقد استجاب رسول الله ﷺ ، واستجاب من معه حتى خفف عنهم بعد ذلك « **فاقرأوا ماتيسر** منه ·· » (٥) ·

وأمر الله سبحانه وتعالى لرسوله « **يا أيها المدثر · قم فأنذر** ··· » (٦) · يعنى نفس الشىء ، وقد حدثت نفس الاستجابة·

وقد تضمنها نص قرآنى أمرا الى المؤمنين ليدل ذلك على منهج التربية السليم « **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون** » (٧) ·

---

(٣) العلق : ١
(٤) المزمل : ١ ، ٢
(٥) المزمل : ٢٠
(٦) المدثر : ١ ، ٢
(٧) الأنفال : ٢٤

وقد جاءت صفة أولى من صفات الجماعة المسلمة التى أشارت اليها سورة الشورى : **«والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة»**(٨) .

وجاءت بلفظ التلاوة صفة أولى لمن يرجون تجارة لن تبور : **« ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور »** (٩) .

وجاءت صفة للذين أوتوا الكتاب : **« الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به .. »** (١٠) .

وفى سلوك رسول الله ﷺ وأصحابه . نزل القرآن منجما : **« وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »** (١١) .

« وقال الذين كفروا لولا نُزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلا » (١٢) .

وهو ما يعبر عنه بعض الصحابة « كنا نتعلم عشر آيات فلا نغادرها الى غيرها حتى نعمل بها » وهذا ما فهمه الفاقهون من صحابة رسول الله ﷺ من قوله تعالى : **« يتلونه حق تلاوته »** (١٣) فقالوا : يعملون به حق العمل ، يحلون حلاله ويحرمون حرامه .

والى هذه المهمة التربوية أشارت بدء الآية الكريمة **« يتلوا عليهم آياته »** ..

---

(٨) الشورى : ٣٨
(٩) فاطر : ٢٩
(١٠) البقرة : ١٢١
(١١) الاسراء : ١٠٦
(١٢) الفرقان : ٣٢
(١٣) البقرة : ١٢١ .

بيد أننا نعلم من سيرة رسول الله ﷺ ومن جميع النصوص أن هذا الأمر يلزم له عناصر ثلاثة :

اخلاص ـ علم ـ عمل .

أما الاخلاص فحديثه طويل ، وأدلته كثيرة :

« **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** » (١٤) .

« **قل الله أعبد مخلصا له دينى** » (١٥) .

« انما الاعمال بالنيات .. » (١٦) .

« ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه » (١٧) .

لكن الذى نريده فى هذا المجال هو تعليم هذا الاخلاص وتعويد هذا الاخلاص ، أما التعليم فأمره سهل ان شاء الله ، وأما التعويد فهو الصعب ، وهو الذى يحتاج الى التذكير دائما ، ويحتاج للقدوة يراها الانسان أمامه ، فى والد أو قريب أو مرب أو مرشد ، أو ولى أمر ، فان افتقد هؤلاء فرسول الله ﷺ من قبل ذلك ومن بعده هو القدوة والاسوة « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** .. » (١٨) . ومن بعد الرسول

---

(١٤) البينة : ٥
(١٥) الزمر : ١٤
(١٦) متفق عليه .
(١٧) رواه أبو داوود والنسائى .
(١٨) الأحزاب : ٢١

ﷺ القدوة يقدمها المربى من خلال القصص والأمثال ... قصص الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين .

وقصة الثلاثة الذين غلقت عليهم الصخـرة .. فدعى كل بصـالح عمـله .. كان يقترن به ابتغاء وجـه الله . فالذى ترك أولاده وزوجه ليحمل غبوق اللبن « اناء اللبن » على يده طوال الليل حتى طلع الفجر .. انما فعل ذلك ابتغاء وجه الله .

والذى ترك ابنة عمه وهى أشهى ما تكون لنفسه بعد أن مكنته من نفسها وجلس بين شعبها الأربع (كما يروى الحديث) انمـا فعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى .

والذى ثمر المال لصاحبه حتى جاء بعـد غيبة طويلة فوجـده مضاعفا أضعافا كثيرة قصد بذلك وجه الله تعالى .

والناس هلكى الا العالمون ، والعالمون هلكى الا العاملون ، والعاملون هلكى الا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم ؟

دأب العلم : فهو لازم للعمل .. أذ ما يعمل من لا يعلم ؟

ولذا كان التساؤل القرآنى : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولوا الألباب** » (١٩) . وكان منزلة العالمين بعد الله والملائكـة : « **شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم ..** » (٢٠) وكانت أحاديث الرسول ﷺ فى هذا المعنى كثيرة .

---

(١٩) الزمر : ٩

(٢٠) آل عمران : ١٨

بيد أن العلم المطلوب هنا هو :

أولا : العلم بالقرآن « **يتلوا عليهم آياته** »

ثانيا : العلم بما يزيد الانسان ايمانا ٠٠ لأن الآيات تشمل آيات القرآن كما تشمل آيات الله فى الأنفس وفى الآفاق : « **سنريهم اياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » (٢١) ٠

وأما العمل : وهو الغاية من تلاوة الآيات فلابد أن يتسم بالاخلاص وأن يفضى اليه العلم ، **وأن يكون وفقا لما شرع الله** عز وجل ٠

أما الأولى : فقد تقدمت ٠

وأما الثانية : ففيها أدلة كثيرة ٠

ففى القرآن : « **لم تقولون ما لا تفعلون ٠ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** » (٢٢) ٠

وقد فسرت «**لذو علم لما علمناه**» (٢٣) : بـ « ذو عمل لما علمناه» ٠

وفى الحديث : « لا تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع ٠٠ [منها] : ٠٠٠ وعن علمه ماذا عمل به ٠٠ » (٢٤) ٠

وعن على : « ياحملة العلم اعملوا به ، فان العالم من علم ثم عمل ، ووافق علمه عمله » ٠

---

(٢١) فصلت : ٥٣
(٢٢) الصف : ٢ ، ٣
(٢٣) يوسف : ٦٨
(٢٤) رواه الترمذى

وعن أبى بن كعب « تعلموا العلم واعملوا به ، ولا تتعلموه لتتجملوا به » ٠

وعن بعض العلماء « العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل »

وأما الثالثة : ففيها قول رسول الله ﷺ : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » (٢٥) أى مردود وباطل ، وفى رواية متفق عليها : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ٠

وبهذه الثلاثة تتشكل الاستجابة : اخلاص ، وعلم ، وعمل ٠

بيد ان لنا أن نشير الى أن بدء الآية الكريمة بـ « **يتلوا عليهم آياتنا** » وبدء القرآن الكريم بـ « **اقرأ باسم ربك الذى خلق** » تعنى اهتماما خاصا بالقرآن ، وبالتربية على القرآن ٠ قراءة ٠٠

ترتيلا : « **ورتل القرآن ترتيلا** » (٢٦) وفق قواعد التجويد ، ليحس المربى،والمربى بحلاوة القرآن فضلا عن حلاوة الطاعة فى تنفيذ أمر الله بالترتيل ٠٠ علما واخلاصا وعملا ٠٠

وبذا تكتمل صورة الاستجابة كخطوة أولى فى التربية الاسلامية، وننتقل الى الأساس الثانى بمشيئة الله تعالى ٠

* * *

---

(٢٥) رواه مسلم ٠ (٢٦) المزمل : ٤

الأساس الثانى : التزكية

● **توطئة :**

التزكية قلب عملية التربية ، وبها ينبض باذن الله تعالى قلب المسلم ٠٠ مجالها النفس أو القلب (٢٧) ٠

« **ونفس وما سواها ٠ فألهمها فجورها وتقواها ٠ قد أفلح من زكاها ٠ وقد خاب من دساها** » (٢٨) ٠

« ألا ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » (٢٩) ٠

وهى وجهان : الوجه الأول : تخلية ٠

والوجه الثانى : تحلية ٠ ولا مشاحة فى الاصطلاح ٠

وموارد التزكية أو موادها : عقيدة ـ وأخلاق ـ ونسك (أو تعبد) ـ ومعاملات ٠

---

(٢٧) يرى البعض أن النفس والقلب والعقل بمعنى واحد ويفرق البعض بين هذه الثلاثة وبين الروح ، ونحن نرى أن الأربعة معنويا مسمى لشىء واحد ، وأن ظهور جانب عملى من جوانب الغريزة أو العاطفة أو التفكير أو الأشواق هو الذى يغلب تسمية على الاخرى . فالأسد له أسماء عديدة : هزبر ، ليث ، حيدر ٠٠ وتغلبة اسم على آخر يأتى تبعا للمناسبة والله أعلم ٠

(٢٨) الشمس : ٧ ـ ١٠ (٢٩) متفق عليه ٠

والقائم على التربية يلزم له صبر ... وصبر بنوعيه : صبر عن ... وصبر على ، وهو يصبر مع ...

ورعاية ودأب .

واعراض عن كل ما يشغل عن هذه المهمة الجليلة .

ذلك ما نبحثه تفصيلا فى هذا البحث ... والله المستعان .

أولا - مجال التزكية :

قلنا انها النفس أو القلب ..

وتلك نقطة البدء لقوله عليه الصلاة والسلام : « التقوى هاهنا » (ثلاث مرات) ويشير الى صدره الشريف . وقول القرآن من قبله : « **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها** »

بيد أن لنا أن نشير الى أن دائرة التزكية أوسع . انها تشمل الانسان كله ، فكره ، وعاطفته ، وجسمه . ومن هنا كان التعبير القرآن « **ويزكيهم** » .

والتربية السلمية تتم على مرحلتين : مرحلة ازالة الأنقاض . ثم مرحلة البناء ...

أو نأخذها من البعض : تخلية - ثم تحلية .

أو نعبر عنها : بسلب - ثم بايجاب .

وأيا كان التعبير فالمقصود مفهوم ، وهو أن تتم تخلية القلب من كل ما يناقض التربية التسليمة ، ثم يجرى تفريغ ما يراد فى هذا القلب وهو ما يسمى بالتحلية .

وهذا الذى نقول به هو مدلول الشهادة الكريمة : «لا اله الا الله»

فهى تحوى شقين : شق سلبى ينفى الألوهية عمن — أو عما — سوى الله تعالى ٠

وشق ايجابى يثبت الألوهية لله رب العالمين ٠

ولعلها كذلك مدلول قوله تعالى « **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها** » (٣٠) ٠

وبالترجمة العملية لذلك نقول ان ما سوف نقدمه فى النقطة التالية لابد فيه من الأمرين : تخلية ثم تحلية ٠

ولعل أحدث نظريات التربية ٠٠٠ لم تصل بعد الى ذلك ، والله تعالى أعلم ٠

* * *

ثانيا — موارد التربية أو مواد التربية :

هى أولا عقيدة : وفى العقيدة يظهر جليا قيمة التقسيم السابق ، أنه لابد أن يخلو القلب أولا من سوى الله ، ثم لابد أن يمتلىء القلب ثانيا ٠٠ بالله ٠ حبا ، وخوفا ، ورجاء ٠٠٠ وهو تحقيق « لا اله الا الله » ٠٠٠ وتحقيق : « **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله** » ٠

وبغير كبير خوض فيما تتضمنه العقيدة فى هذا المجال : نشير الى أن كثيرا من الناس لا يدرك — فى مجال التربية — ما ينبغى أن يربى عليه المسلم ، فيحشو أدمغة السامعين بالكثير من الأدلة ٠٠

---

(٣٠) البقرة : ٢٥٦ ٠

من علم الكلام ، ومن غير علم الكلام ، ويركز على القضايا المنطقية والنواحى الفلسفية ظنا أن هذا يزيد الناس ايمانا ، أو يملأ قلوبهم تسليما واقتناعا ، أو يضفى على نفوسهم طمأنينة وأمانا ... والحق غير ذلك .

ان الناس بحاجة الى « عمل القلب » لا الى علم القلب (٣١) . فالأخير قد يستوى فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر .

أما الأول فانه يميز به المؤمن من الكافر والبر من الفاجر ، وهو الجانب العملى الذى ينبغى أن تقوم عليه التربية السليمة .

● فالعنصر الأول من عمل القلب هو الحب :

وينبغى أن يتحقق فيه الجانبان : جـانب السلب ، وجانب الايجاب .

فأما جانب السلب ، فهو أن يخلو القلب من حب غير الله حبـا يصل الى حب الله ، والا وقع المؤمن فى الشـرك والعياذ بالله : « **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله** » (٣٢) وحب غير الله قد يكون شخصا أو مالا أو سكنا . وقد سمى الله سبحانه وتعالى ذلك كله « **متاع الحياة الدنيا** » وجعـل فى مقابله

---

(٣١) راجع الايمان الحق للمؤلف ـ و « الايمان » لابن تيمية ، و « العبودية » لابن تيمية .

(٣٢) البقرة : ١٦٥ .

للذين اتقوا ، فأحبوا الله وخافوه : **«جنات تجرى من تحتها الأنهار»** وأزواجا مطهرة ، ورضوانا من الله ..

ذلك ما ذكره لنا رب العالمين فى سورة « آل عمران » : **« زين للناس حب الشهوات من النسـاء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب .**

« قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد » (٣٣) .

وفى سورة التوبة : **« قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهـاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » (٣٤)**

وتخلية القلب من حب هذه الأشياء أو هذه الأشخاص ليس بالأمر السهل . وما طلبه الله هو التخفيف حتى لا يتساوى حبهـا مع حب الله ، وحتى يفضل حب الله عليها ، لأنه سبحانه وتعالى أعلم بمن خلق ، انه لا يمكن أن يخلو القلب تماما من هذه الأشياء ، أو الأشخاص ولكن ينبغى أن يخف ذلك الحب ، ليحل الحب الأكبر . حب الله سبحانه وتعالى .

---

(٣٣) آل عمران : ١٤ ، ١٥
(٣٤) التوبة : ٢٤

وتخلية القلب على هذا النحو يكون بالمعادلة العاقلة والموازنة الراشدة وتفهم ما يترتب على تتساوى الحبين ، ومن ناحية أخـرى يكون بتقييم هذه الأشياء وهذه الأشخاص •

أن الأشياء تافهة مهما كانت ، اذا قيست الى جوار نعيم الآخرة، جنات ، أزواج ، رضوان ، وان الأشخاص كذلك تافهة زائلة اذا قيست الى جوار ما فى الآخرة من نعيم مقيم •

● **أما التحلية :**

فتأتى بالمزيد من حب الله : «**والذين آمنوا أشد حبا لله**» (٣٥) •

«لايؤمن احدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله ومن الناس أجمعين » •

« ثلاث من كن فيه ذاق بهن حلاوة الايمـان : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ••••• » •

وهكذا تتواتر النصوص تواترا معنويا على ضرورة زيادة حب الله فى القلب على حب غيره ليتحقق العنصر الأول من عمل القلب ، وتتم به التربية التسليمة •

وقد يتساءل البعض : وكيف السبيل الى مزيد من حب الله ؟ ونجيب بعون الله : هى ، أولا : بتذكر نعم الله ، فالانسان مفطور على حب من يحسن اليه واحسان الله الينا يبدأ منذ نعومة

---

(٣٥) البقرة : ١٦٥

اظفارنا ، بل قبل ذلك ونحن أجنة فى بطون أمهاتنا يأتينا فضل الله بغير حول منا ولا قوة ، ونحن فى ظلمات ثلاث ... فنتحول - بفضل الله ونعمته - من نطفة الى علقة ، الى مضغة ، الى عظام يكسوها لحم ، ويجعل لنا عينين ولسانا وشفتين ، ثم هو بعد ذلك يهدينا النجدين .

ومع نعومة الأظفار يتنزل الدم القانى لبنا أبيض سائغا دافئا بالشتاء وباردا بالصيف بقدرة الله وحده ، ويتنزل معه الحنان غذاء للروح والنفس . وينشأ الطفل فى أحضان أمه تقدمه على نفسها وتفتديه بكل غال وعزيز ... والله سبحانه هو الذى يتولى هذا كله .

وتظل معنا نعم الله مع أطوارنا كلها .. لكنا قد لا نتذكرها أو لا ندركها الا فى حالين : حال افتقادها ، أو حال الاضطرار : « **أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، أ اله مع الله** » (٣٦) ؟؟

ومن هنا كان قول رسول الله ﷺ : « أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم » (٣٧) .

● **أما السبيل الثانى** : فهو التفكير فى أسماء الله وصفاته :

ذلك أن الانسان كذلك مفطور على حب كل أمثل ... ولله الأسماء الحسنى والصفات العليا .. فلم لا نحبه ؟

---

(٣٦) النمل : ٦٢

(٣٧) أخرجه الترمذى .

اذا أحببت كريما فالله أكرم ، وان أحببت رحيما فالله أرحم ، وان أحببت كبيرا فالله أكبر وأعظم ٠٠ وهكذا ، وهذا بعض سر أسمائه وصفاته ٠

بيد أنه ينبغى علينا أن ندرك ونحن نتفكر فى أسماء الله وصفاته : أن الانسان وان شارك فى بعض الصفات « كالرحمة والكرم ٠٠ » فان هناك صفات لا يشارك فيها « كالعظمة والكبرياء والجبروت٠٠٠» فضلا عن أن ما يشارك فيه الانسان يشارك فيه بقدر مقدور ، لأنه لا يملك ولا يستطيع أن يصل الى سمو صفاته ولا الى عمقها وشمولها ٠

واذا أخذنا مثلا : الرحمة ٠٠ فأن أكبر رحمة تضرب هى رحمة الأم بولدها ٠٠ ومع ذلك تقف تلك الرحمة عاجزة اذا وقفت سدود أو عوائق عن أن توصلها الى ابنها ٠٠٠ كوجوده فى سجن ظالم يمنع ويتجبر ! ، كذلك فان هذه الرحمة تقف قاصرة على الابن فلا تمتد الى غيره من أبناء الغير ٠ أما رحمة الله فانه يقول فيها : « **ورحمتى وسعت كل شىء** » (٣٨) ٠

---

(٣٨) وقد عمدت أن اضرب مثلا فى بعض محاضراتى بشخص تواجد فى سجن للظالمين منع عنه الطعام والشراب الا ماندر ، وتعرض للتعذيب الاليم القاسى أكثر اوقاته الا ما ندر ، ويوما ما عمد الى الصيام تقربا الى الله تعالى ، واستدرارا لعطفه ورحمته ، وقبل الافطار نودى عليه فاذا هو فى ساحة التعذيب ينتظر دوره فيه ٠ فلما آذنت الشمس بمغيب تقلب وجهه فى السماء يسأل الله من =

كذلك يتأتى حب الله ويزداد من خلال ما يحسه الانسان من مشاركته الله فى بعض صفاته ، وعنصر المشاركة يولد الود والحب كما هو معلوم ومعروف ـ والله أعلم .

◎ أما العنصر الثانى ، فهو الخوف :

وهو كذلك يتضمن الجانبين :

جانب السلب .. بانتفاء الخوف من غير الله تعالى .

وجانب الايجاب ... بتحقق الخوف من الله تعالى .

ويجمعهما قول الله سبحانه وتعالى : « **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله** » (٣٩) .

« **انما يخشى الله من عباده العلماء** » (٤٠) .

« **رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه** » (٤١) .

= فضله ورحمته . وكان يجلس كغيره من المعذبين وجهه للحائط لا يتلفت يمينا أو يسارا ويقف على رأسه احد زبانية العذاب ، وفجأة سمع صوت آذان من مكان سحيق ولم ينتبه الآذان حتى امتدت اليه يد احد المعذبين يسأله هل انت صائم ؟ وما كان قد باح لأحد بهذا السر .. فقال نعم .. فاذا اليد الأخرى تمتد بطبق فيه طعام شهى لا يوجد فى السجن وفوقه تمرة كبيرة حتى يفطر على السنة ... ارأيت كيف تخطت رحمة الله السدود والقيود وجاءت من حيث لا يحتسب الانسان ؟ ـ والآية من سورة الأعراف : ١٥٦ .

(٣٩) الأحزاب : ٣٩ (٤٠) فاطر : ٢٨

(٤١) البينة : ٨

وقوله : « **أتخشونهم ، فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين** » (٤٢) ·

« **سيذكر من يخشى** » (٤٣) ·

« **هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** » (٤٤) ·

« **ولمن خاف مقام ربه جنتان** » (٤٥) ·

● **أما كيف تنفى الخوف من غير الله ؟**

فانه بالتفكر والنظر الى عجزهم وضعفهم وعدم قدرتهم :
« **أيشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلقون · ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون** » (٤٦) ·

« **قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم · أف لكم ولما تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون** » (٤٧) ·

وفى الحديث : « لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمنين، فان أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، وان خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة » (رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى الشعب) ·

وقالت عائشة رضى عنها : « **الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون** » (٤٨) هو الرجل يسرق ويزنى ؟ قال :

---

(٤٢) التوبة : ١٣ — (٤٣) الأعلى : ١٠

(٤٤) الأعراف : ١٥٤ · — (٤٥) الرحمن : ٤٦

(٤٦) الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢ — (٤٧) الأنبياء : ٦٦ ، ٦٧

(٤٨) المؤمنون : ٦٠ بلفظ : « **والذين** ··· »

« لا ، بل الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » (رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم) .

« لا يلج النار عبد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع » (رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح والنسائى) .

« سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله [منهم] : ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » (متفق عليه) .

وكان ﷺ اذا دخل الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل (رواه أبو داوود والترمذى والنسائى) .

ويروى عن عمر رضى الله عنه : « لو نودى ليدخل النار كل الناس الا رجلا واحدا لرجوت أن أكون ذلك الرجل ، ولو نودى على الجنة ليدخلها كل الناس الا رجلا واحدا لخشيت أن اكون ذلك الرجل » (جـ ١٣ ص ٢٠) .

وكان اذا سمع من القرآن آية وعيد خر مغشيا عليه أو مرض فيعاد فى بيته شهرا (جـ ١٣ ص ٥٢ ، ٥٣) .

وكان فى وجهه خطان أسودان من الدموع (المرجع السابق) .

وقال مالك بن دينار : « بينما أطوف بالبيت اذا أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول : « يارب ، كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها » .. فصرخ وقال : ثكلت أمه . (المرجع السابق ص ٥٤) .

● **وأما كيف يوجد الخوف من الله ؟**

فكذلك بالتفكير فى أسمائه وصفاته التى من شأنها أن تورث هذا الخوف : السميع ، البصير ، القدير ، المنتقم ، الجبار ، القيوم ٠

ثم من التفكير فيما بعد الموت ٠٠ القبر وظلمته ووحشته ، الموقف ورهبته وشدته ، الحساب ورعبه ووجله ، النار : عذابها ٠٠ طعامها ٠٠ شرابها ٠٠ المكث فيها ٠٠ ومعها : « **لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار ٠ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ، ان الله سريع الحساب** » (٤٩) ٠٠

« انما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » (٥٠) ٠ ويضيف اليها الغزالى سببا ثالثا هو تدبر القرآن (ج ١٣ ص ٢٩)

وحكت مولاة لعمر بن عبد العزيز أنها رأت الصراط فجىء بعبد الملك بن مروان فانكفأ عليه ، ثم جىء بالوليد فانكفأ عليه ، ثم بسليمان بن عبد الملك فانكفأ عليه ، ثم جىء بك يا أمير المؤمنين ،

فصاح عمر صيحة وقع مغشيا عليه فقامت وهى تنادى فى أذنه : والله قد نجوت ، انى رأيتك والله قد نجوت ٠ (جـ ١٣ ص ٥٨) ٠

---

(٤٩) غافر : ١٦ ، ١٧

(٥٠) وقد ذكرها الامام الغزالى فى مقامين : الخوف من الله والخوف من عذابه ٠ والأول خوف العلماء ، والثانى خوف العامة (الاحياء جـ ١٣ ص ٢٧) ٠

ويقول الامام الغزالى : اننا اذا أردنا المال فى الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا ، وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا ، واذا أردنا طلب العلم تفقهنا وتعبنا فى حفظه وتكراره وسهرنا ونجتهد فى طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لها ، فاذا طمحت نفوسنا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا أن تقول ألسنتنا : اللهم اغفر لنا وارحمنا . **« وأن ليس للانسان الا ما سعى » (٥١) ، « ولا يغرنكم بالله الغرور » (٥٢) ، « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » (٥٣) .**

وفى بحث قيم هل الخوف أفضل أم الرجاء ؟ انتهى الامام الغزالى أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة ، وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات . (احياء علوم الدين : جـ ١٣ ص ٢٣) .

ومع الخوف الرجاء .. وهو يتوازن مع الخوف .. أو يجعل التوازن داخل النفس فتتردد بين الخوف والرجاء .

« يرجون رحمته ويخافون عذابه » (٥٤) .

« نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم » (٥٥) .

---

(٥١) النجم : ٣٩ (٥٢) لقمان : ٣٣ ، فاطر : ٥

(٥٣) الانفطار : ٦

(٥٤) الاسراء : ٥٧ بلفظ : « **ويرجون** .. » .

(٥٥) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

« قل ياعبادى الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » (٥٦) •

« ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور » (٥٧) •

«وأسوف يعطيك ربك فترضى»(٥٨) قيل فى تفسيرها: «لا يرضى واحد من أمته فى النار » (٥٩) •

« ويدعوننا رغبا ورهبا » (٦٠) •

« يدعون ربهم خوفا وطمعا » (٦١) •

وفى الحديث : «لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى»

« وأنا عند ظن عبدى بى » (٦٢) •

ودخل عليه الصلاة والسلام على رجل فى النزع فقال : كيف تجدك ؟ فقال : أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى ، فقال : « ما اجتمعتا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف » (٦٣) •

---

(٥٦) الزمر : ٥٣ •

(٥٧) فاطر : ٢٩ •

(٥٨) الضحى : ٥ •

(٥٩) احياء علوم الدين ج ١٢ ص ١٨١ •

(٦٠) الأنبياء : ٩٠

(٦١) السجدة : ١٦

(٦٢) رواه البخارى ومسلم •

(٦٣) الترمزى والنسائى وابن ماجة وقال النووى اسناده جيد •

وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى ، فان الله لا يتعاظمه شيء » (٦٤) ٠

وقال عليه الصلاة والسلام : « لو علمتم ما أعلمه لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلوون صدوركم وتجأرون الى ربكم » (٦٥) ٠

وقال : « اذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل لملائكته : انظروا الى عبدى أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ، ويأخذ بالذنب ، أشهدكم أنى قد غفرت له » (٦٦) ٠

وقال « لو لقينى عبدى بقراب الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة » (٦٧) ٠

وقال على رضى الله عنه لرجل أخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه : « يا هذا ، يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك » (٦٨) ٠

ولعله رضى الله عنه يشير الى الآية الكريمة : « **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » (٦٩) ٠

---

(٦٤) رواه مسلم ٠

(٦٥) أوله متفق عليه من حديث أنس الى « كثيرا » ، وبقيته من رواية أحمد والحاكم ، تخريج الحافظ العراقى على هامش الاحياء (جـ ١٢ ص ١٧٨) ٠

(٦٦) متفق عليه ٠

(٦٧) رواه مسلم ٠

(٦٨) الاحياء جـ ١٢ ص ١٧٧ ٠

(٦٩) يوسف : ٨٧

وقال سفيان : «من أذنب ذنبا فعلم أن الله قدره عليه ورجا غفرانه، غفر الله لـه ذنبـه • قال : لأن الله عـز وجـل عير قوما فقـال : « **وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم** » (٧٠) •

وقال تعالى « **وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا** » (٧١) •

وفى الرجاء كذلك تخلية ثم تحلية ، ليتحقق له الجانبان ، فيخلى قلبه من رجاء غير الله تعالى ، ويملأ قلبه برجاء الله تعالى ، وسبيله الى ذلك الاعتبار بنعم الله ، وفضله والنظـر فى الآيات والآثار (٧٢) •

وتتحقق معه «**اياك نعبد واياك نستعين**» (٧٣) فيقصر الاستعانة على الله تعالى كما يقصر الاستغاثة على الله تعالى •

وتلك بعض عناصر عمل القلب ••• حب ، وخوف ، ورجاء •• به يتحرك القلب وتتحقق له التربية العملية فى مجال العقيدة •

أما أولئك الذين يقصرونها على التثقيف والحشو الذهنى فانهم لا يمارسون تربية صحيحة ولا يتحقق بها ولا بهم ايمان صحيح

---

(٧٠) فصلت : ٢٣ •
(٧١) الاحياء جـ ١٢ ص ١٧٧ ــ والآية من سورة الفتح : ١٢
(٧٢) الاحياء جـ ١٢ ص ١٨٠ •
(٧٣) الفاتحة : ٥

ولا عقيدة سليمة وعلى هذا كان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم (٧٤) .

والحديث عن دور « الأخلاق » فى التزكية حديث يطول ...

ذلك أن الكثيرين غفلوا عنها حتى استغنى عنها بعضهم وجاءت نظمهم خالية منها (٧٥) .

والذين اعتبروها من هؤلاء أسسوها على أساس من المنفعة ، فان قامت منفعة كان بها والا فهم أغنياء عنها (٧٦) ومن ثم تجزأت

---

(٧٤) راجع « الايمان الحق » للمؤلف ، المراجع المشار اليها « الايمان » لابن تيمية « والعبودية » لابن تيمية ، «مدارج السالكين» لابن القيم ، « الاحياء » للامام الغزالى .

(٧٥) فى الغرب أسقطوا القاعدة الخلقية من نظامهم القانونى لأنه ليس جزاء (Sanction) وقبل ذلك أسقطوها من حياتهم حين بلغوا بالحرية حد الفوضى التى تعدت حدود الأخلاق ، راجع المشروعية العليا للمؤلف

(٧٦) تقوم الأخلاق فى الغرب على المنفعة ـ راجع منهج القرآن فى تربية المجتمع ، والمراجع المشار اليها ص ١٦٧ وما بعدها . ولقد اختلفوا فى تعريف الأخلاق : فخلطوها بالشخصية حينا ، وبالوجدان آنا وبالذكاء أحيانا .

فالأستاذ (Mc Doygell) يقول :

(Social Psychology well-developed character, is an integrated system of sentiments, a system. That is a hierarchy dominated a single master sentiment and integrated by that domince). =

الأخلاق ، فالانجليزى يعرف داخل بلاده الصدق والأمانة والاتقان •
ولكنه خارج بلاده غير ذلك ، (٧٧) – ويأبى الله لأخلاقنا الا أن تكون
غير ذلك ...

فهى أولا جزء ، وجزء عزيز من شريعة الله تبارك وتعالى •

وهى فى أهميتها تأتى صنو العقيدة وأثرا مباشرا لها •

وهى تبلغ أن تكون غاية رسالة رسول الله ﷺ •

وبها تميز رسول الله ﷺ « دعانا ربنا أن نقتدى به ، بل دعانا
من قبلها أن نقبس ما استطعنا من صفاته » •

= ومعناه : الخلق القويم هو نظام تصاعدى متكامل من العواطف
تسيطر عليه بهذه العواطف وتكامله نتيجة لتلك السيطرة فهو وجهة
خاصة فى الشخصية النامية تؤدى الى إلتماسك (consistency)
العزيمة والصلابة (Firmness) ضبط النفس (self control)
« التوجه » (Self Direction) ، أمـا (Bagly) فهو يرى أن الخلق
عبارة عن كثير من العادات الصالحة النافعة (راجع تفصيلا لذلك
التربية وطـرق التدريس – الأستـاذ صالح عبد العزيز ج ٢
ص ٢٣١ – ٢٣٩ وقد أشـار فى نهاية عـرضه الى الفلسفـة الثنائية
حـول الغـاية والوسيلة عنـد من يزعم أنهمـا شيئان منفصلان
ومن هنا يظهر التضارب بينهما – ويظهر من يدعى أن الغاية تبرر
الوسيلة أيا كانت درجة (الأخوة) من الاخلاق والفضائل •

(٧٧) ذلك ملحوظ لا يحتاج الى بيان ، راجـع منهج القرآن فى
تربية المجتمع ص ١٦٧ وما بعدها •

أما أنها جزء عزيز من شريعة الله تعالى .. فقد غلط الكثيرون اذ صرفوا الشريعة الى الأحكام وحدها ، مع أن الدعوة اليها كانت من قبل تنزل الأحكام « **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** » (٧٨) .

« **شـــرع لكم من الدين ما وصى به نوحـا والذى أوحينا اليك** ... » (٧٩) .

« **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** » (٧٩) .

وغلطوا مرة ثانية : اذ الشريعة مرادف للدين والملة .. والأخلاق جزء من الدين والملة ..

وغلطوا مرة ثالثة ... اذ ساحة الأحكام فى القرآن لا تغادر واحدا على ثلاثين بينما الأخلاق تزيد على ذلك .

ولنأخذ لذلك بعض الأمثلة ... ان آية البر فى سورة البقرة اذ تعدد ألوان البر فتذكر ستة أنواع وتصفها فى النهاية بالصدق والتقوى فان ثلاثة من هـذه الستة هى صـفات خلقية . والثلاثة الأخرى .. هى الايمان ، والصلاة ، والزكاة .

فاذا خلط هذا بذاك على أنه بر وصدق وتقوى فذلك يشعرنا بأن شريعة الله وحدة لا تتجزأ ، ويشعرنا معها بأهمية الأخلاق ووقوفها جنبا الى جنب مع الايمان والصلاة والزكاة بل انها تقدم صفة أخلاقية على الصلاة والزكاة وتتبعهما بصفتين أخريين ، بل ان الآية تبدأ

---

(٧٨) الجاثية : ١٨ (٧٩) الشورى : ١٣ .

بقولها : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر ...** »

وفى سورة الرعد صفات ثمانية : نصفها أخلاق ، والنصف الآخر نصفه صفتان عقديتان ، ونصفه الآخر صلاة وانفاق ، واذا عددنا الصفة الأخيرة خلقية باطلاقها وعدم اقتصارها على الصلاة ظفرنا بخمس صفات خلقية من بين ثمانية لأولى الألباب .

ومن بين تسع صفات لعباد الرحمن ... تقف صفات ست مع الأخلاق وثلاثة مع العقيدة ، والعبادة ! واذا أضفنا النهى عن القتل والزنا باعتبار هذا الامتناع خلقا صارت ثمانية ! ولنسمع هذه الآيات :

« **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** » (٨٠) .

« **أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، انما يتذكر أولوا الألباب . الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون**

---

(٨٠) البقرة : ١٧٧

الميثاق • والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب • والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار • جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب • سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » (٨١) •

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما • والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما • انها ساءت مستقرا ومقاما • والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما • والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما • يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا • الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما • ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما • والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما • أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما • خالدين

---

(٨١) الرعد : ١٩ ــ ٢٤

فيها ، حسنت مستقرا ومقاما • قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم ، فقد كذبتم فسوف يكون لزاما » (٨٢) •

● وأما أنها صنو العقيدة وأثر مباشر لها :

فقد تقدم من الأمثلة ما يدل على ذلك ، فالله سبحانه يضفى على الصفات الخلقية صفات البر والصدق والتقوى ويجعلها جنبا الى جنب مع الايمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ــ كما هو الحال فى المثال الأول •

ويجعل كذلك صنو السجود والايمان والتوبة فى المثال الثانى ، ويجعل هذه صفات فئة أسماها عبادا وشرفها فأضافها الى أشرف أسمائه الرحمن : « **قل ادعوا الله أو ادعـوا الرحمن ، أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى** » (٨٣) •

وبين هذه وتلك يجعلها صنو خشية الله وخوف حسابه ، ويجعل جزاءها جنات عدن ويجعل تحية الملائكـة بذكر صفة من صفات الأخلاق : الصبر : «**سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار**» (٨٤)

● ومن الحديث ما يؤكد ذلك ويجعلها أثرا مباشرا للايمان :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » •

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » •

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »

---

(٨٢) الفرقان : ٦٣ ــ ٧٧

(٨٣) الاسراء : ١١٠

(٨٤) الرعد : ٢٤

● وعلى العكس من ذلك ينتفى الايمان مع انتفــاء الخلق :

« لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » (٨٥) ٠

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » (٨٦) ٠

« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن - قيل : من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه » (٨٧) ٠

« ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وان صام وصلى وحج واعتمر وقال انى مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان » (٨٨) ٠

وقيل : يارسول الله ، ان فلانه تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها ٠ قال : « هى فى النار » ثم قيل : يارسول الله ، فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها وانها تتصدق بالأثوار من الأقط (أى بالقطع من الجبن) ولا تؤذى جيرانها٠ قال : « هى فى الجنة » (٨٩) ٠

---

(٨٥) رواه أحمد ٠

(٨٦) وفى المعنى : « اذا زنى العبد خرج الايمان فكان على رأسه فاذا أقلع رجع اليه » - رواه أبو داوود والترمذى وصححه الحاكم على شرط الشيخين ٠

(٨٧) رواه البخارى

(٨٨) رواه مسلم

(٨٩) رواه أحمد

وسأل الصحابة يوما رسول الله ﷺ : أتدرون من المفلس » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع • فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ••• فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » (٩٠) •

ترى ، هل تكفى هذه النصوص ؟ ••• أحسب ذلك والله أعلم •

● وأما أنها تبلغ أن تكون غاية رسالة رسول الله ﷺ :

فقد نص على ذلك رسول الله ﷺ : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » (٩١) •

وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ •• على مدى ثلاثة عشر عاما فى مكة يربى المسلمين على الأخلاق اضافة الى العقيدة ، بل وفعلها كذلك فى المدينة المنورة على مدى عشر سنوات أخرى يربيهم على الأخلاق اضافة الى العقيدة والعبادة والتشريع •

وان اختلفت الأساليب فى الحالين •• فالغاية واحدة •• مكارم الأخلاق •

ويخطىء من يظن فترة المدينة •• بلا أخلاق •• انشغالا بالتشريع •• عبادات ومعاملات ، وانشغالا بالحروب والسرايا

---

(٩٠) رواه مسلم •

(٩١) رواه الترمذى

والفتوح ، لقد كانت الاخلاق تعمل مع هذا كله ، بل وقد كانت تعمل من خلال هذا كله .

والا فلنأخذ الأخيرة مثلا ... الحروب .

حروب اليوم لا أخلاق فيها .. فيها الغدر ، وفيها المثلة ، وفيها الاجهاز على الضعيف ، والشيخ والمرأة ... وحروب رسول الله ﷺ حروب أخلاقية هى كذلك من ناحية الغاية ... فغايتها .. أن يكون الدين كله لله : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنــة ويكون الدين كله لله** » (٩٢) .

وهى كذلك من خلال الوسيلة : « اغدوا باسم الله .. لا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا » .

وهى كذلك من خــلال التوجيه .. فمــرة ينتصرون فيعلمهم ويربيهم أن « **وما النصر الا من عند الله** » (٩٣) .

« **واذكروا اذ أنتم قليــل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون** » (٩٤) فيرد النصر الى الله ، ويعلمهم من خلال النصر أخلاق الشكر لله ــ ومرة ينهزمون .. فيعلمهم ويربيهم من خلال الهزيمة :

---

(٩٢) الأنفال : ٣٩

(٩٣) آل عمران : ١٢٦ ، الأنفال : ١٠

(٩٤) الأنفال : ٢٦

« ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (٩٥) .

« حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين » (٩٦)

فيعلمهم ويربيهم على عدم الاغترار بالكثرة وعلى أن التنازع قرين الفشل ، وأن حب الدنيا يكون معه البلاء ، ويحنو عليهم رغم خطئهم فيقول : « ولقد عفا عنكم » .

أى تربية كريمة تلك التربية ؟ .

وهكذا ربى المسلمون على الأخلاق ، سلما وحربا ، صبرا وزحفا ، هزيمة ونصرا .

● وأما أن بها تميز رسول الله ﷺ وبه اقتدى المسلمون :

ففى ذلك نص : « وانك لعلى خلق عظيم » (٩٧) .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٩٨) .

وفى ذلك كانت تقول عائشة رضى الله عنها : « لقد كان خلقه القرآن » (٩٩) .

---

(٩٥) التوبة : ٢٥
(٩٦) آل عمران : ١٥٢
(٩٧) القلم : ٤
(٩٨) الأحزاب : ٢١
(٩٩) رواه البخارى

وتحكى هى ، وتحكى أمهات المؤمنين ، ويحكى الصحابة عن أخلاق رسول الله ﷺ الكثير : صدقه ، أمانته ، وفاؤه ، اخلاصه ، أدبه ، قوته ، حلمه وصفحه ، جوده وكرمه ، قصده وعفافه ، رأفته ورحمته ، علمه وعقله ٠

ويطول بنا الحديث ٠٠ لو عددنا ٠٠ فكل خلق القرآن خلقه ٠ وهو فى هذا مثل أعلى ٠٠ يقترب منه المسلمون ، ويقتبسون منه قدر ما يستطيعون ٠

ولنأخذ بعض الأمثلة :

● أما صدقه : فقد عرف به من قبل البعثة حتى لقب بالأمين٠ أو بالصادق الوعد الأمين ٠ وحتى أسلم له الكفار أمرهم لما اختلفوا حول وضع الحجر الأسود وارتضوا أول داخل ٠ وكان الأمين هو أول الداخلين ٠

وحتى تحرجوا حين وقع بهم الأمر أن يتهموه كذبا ٠٠ وقالوا له : ما جربنا عليك كذبا ٠

وهاك بعض ما كان يوجه به أصحابه ، وهو من قبل ملتزم به :

« عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، والبر يهدى الى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق ، حتى يكتب عند الله صديقا ، واياكم والكذب ، فان الكذب يهدى الى الفجور ، وان

الفجور يهدى الى النار ، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » (١٠٠) .

ويصل فى النهى عن الكذب حتى ينهى عنه فى المزاح ، وفيما قد يظن أنه ليس مجالا للكذب :

« أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا » (١٠١) .

« لا يؤمن العبد الايمان كله ، حتى يترك الكذب فى المزاح والمراء ، وان كان صادقا » (١٠٢) .

«من قال لصبى : تعال ، هاك .. ثم لم يعطه فهى كذبة» (١٠٣) .

وأخيرا يقرر رسول الله ﷺ أنه يمكن أن يجتمع مع الايمان جبن وبخل ، لكن الايمان والكذب لا يجتمعان « سئل رسول الله ﷺ أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم . قيل له : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم . قيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال ، لا » (١٠٤) .

ويجعله الوحى علامة الايمان وعلامة الرجولة ، وعلامة الجهاد :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (١٠٥) .

---

(١٠٠) رواه البخارى
(١٠١) رواه البيهقى
(١٠٢) رواه أحمد
(١٠٣) رواه أحمد
(١٠٤) رواه مالك
(١٠٥) الأحزاب ٢٣

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (١٠٦) •

● أما أمانته : فهى قرينة صدقه ، ولذا سمى « بالصادق الوعد الأمين » •

وكان حقا أمين الأرض يتنزل عليه بالوحى أمين السماء : **« مطاع ثم أمين » (١٠٧) •**

والأمانة فى الاسلام أمانات •• ينبغى أن تحفظ والا عد منتهكها غادرا وخائنا وهى تبدأ من أدنى الأمانات التى يظنها الناس ••

وتنتهى الى أعلى ما يظن الناس •

وتجاوز فى منطق الوحى ذلك الذى يظن الناس •

ـ أما أدناها ••• فهى أمانة المجالس •• ما يقوله الرجل لصاحبه ، وما يفضى به الرجل الى زوجه •• انها أمانة •

اسمعوها من رسول الهدى يقولها ويتمثلها ويربى الناس عليها:

« اذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهى أمانة » (١٠٨) •

« ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة : الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها » (١٠٩) •

أما أعلاها فى نظر الناس فهى الولاية •• يقول فيها رسول الله

---

(١٠٦) الحجرات ١٥ (١٠٧) التكوير : ٢١

(١٠٨) رواه أبو داوود

(١٠٩) رواه أحمد وتقديرها أن من أعظم خيانة الأمانة •

ﷺ فيما يرويه أبو ذر : قلت يارسول الله ، الا تستعملنى ؟ قال : فضرب بيده على منكبى ثم قال : « يا أبا ذر ، انك ضعيف وانها امانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها » .

أما ما يجاوز ذلك فى منطق الوحى : فهى الأمانة الكبرى . أمانة الدين : «**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** » (١١٠) .

« **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** » (١١١) .

« **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا** » (١١٢) .

وبين هذا وذاك أمانات تختلف عظما وصغرا عند الناس ، لكنه قد يكون عند الله عظيما : «**وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**» (١١٣)

ولذا كان من جزاء ضياع الأمانة .. انتظار الساعة .

وكان من نتيجتها يوم القيامة أن يرفع كل غادر لواء غدره .

---

(١١٠) الأنفال : ٢٧ (١١١) النساء : ٥٨

(١١٢) الاحزاب : ٧٢

(١١٣) النور : ١٥ ، وتفصيلا للأمانات بحث شيق لفضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه القيم «خلق المسلم» .

وأن يأتى الرجل بما غل يوم القيامة يحمله •

يقول رسول الله ﷺ : « اذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » فقال : وكيف اضاعتها ؟ قال : اذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » (١١٤) •

ويقول عليه الصلاة والسلام : « اذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به فيقال : هذه غدرة فلان •• » (١١٥) •

وفى رواية : « لكل غادر لواء عند استه ، يرفع له بقدر غدرته ، ألا ولا غادر أعظم من أمير عامة » (١١٦) •

أما الثالثة ••• فقوله تعالى **« ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »** (١١٧) •

وفيه قوله عليه الصلاة والسلام تعقيبا على ما قاله أحد الولاة «ابن اللتبية» استعمله رسول الله على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى الى ، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فانى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا لكم ، وهذا هدية أهديت الى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا !! والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله يحمله يوم القيامة • فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة

---

(١١٤) رواه البخارى
(١١٥) رواه البخارى
(١١٦) رواه مسلم •
(١١٧) آل عمران : ١٦١.

تيعر » . ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه يقول : « اللهم هل بلغت » (١١٨) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول » (١١٩) .

● أما حلمه وصفحه : فيكفيه مثلا فى حلمه ذلك الأعرابى الذى جاءه يمسك بتلابيبه حتى حز الثياب فى عنق رسول الله ﷺ وقارب أن يختنق وهو يقول له : « أعطنى من مال الله لا من مالك ولا من مال أبيك » .

فهم عمر يريد أن يضرب الرجل بسيفه .

ولو فعل لما كان عليه ـ فى ظنى ـ من سبيل .

لكن رسول الله ﷺ قال التوجيه النبوى الكريم : « كان عليك أن تأمره بحسن الطلب وأن تأمرنى بحسن الأداء » .

وأما صفحه فيكفى فيه ما قاله رسول الله ﷺ فى شأن أعدائه بل ألد أعدائه الذين أخرجوه من داره وعذبوا أصحابه .. يوم مكن منهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

أما بقية الأخلاق فتفصيلها يطول (١٢٠) .

* * *

---

(١١٨) رواه مسلم . (١١٩) رواه أبو داوود .

(١٢٠) راجع الكتاب القيم « خلق المسلم » بـ لفضيلة الشيخ محمد الغزالى ولم يعدم الغرب من أشار الى أهمية الأخلاق ـ فهذا أحد فلاسفته « هربارت » يقول : ان التعليم يكون دائرة الأفكار ، وان التربية تكون الأخلاق ، ولا قيمة للثانية بدون الأولى .

ثالثا ـ التزكية بالعبادة :

تواضع العلماء على اطلاق « العبادات » على مجال محدود في مقابل « العاديات » أو « المعاملات » ولا مشاحة في الاصطلاح ·

لكن ان أدى الاطلاق الى سوء فهم الشريعة فالمشاحة واردة ·· ولذا ـ فانا وان كنا قد سلمنا بالاصطلاح الا أننا نفضل مكانه «النسك» أو الشعائر حتى لا يلتبس على الناس دينهم ، أو لا يلتبس الحق بالباطل ·فيظن البعض أنهم يحققون العبادة ، وهم يكتفون بهذه الشعائر وحدها ـ دون بقية الاسلام ولئن قال الرسول ﷺ في شأن الصلاة : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » ·· فان العمود لا يغني عن بقية الاسلام وان لم يقم الاسلام الا به · ومن هنا كانت صيحة أبى بكر الصديق : « والله لا أفرق بين صلاة وزكاة ، والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لحاربتهم عليه » (١٢١) ·

وكان اتفاق العلماء على حرب كل من منع شريعة من شرائع الله (١٢٢) · تلك كانت تقدمة للحديث عن العبادات ·

نقول بعدها بعون الله تعالى :

اننا لن نتكلم عن العبادات ذاتها « من طهور ، ووضوء ، وصلاة ،

---

(١٢١) كتب السيرة · وهو مشهور ·

(١٢٢) ابن تيمية رضى الله عنه · الفتاوى ـ « العبودية » ·

وصوم ، وزكاة ، وحج ، وذكر ودعاء » .. لكننا نذكر بعض آثارها فى مجال التزكية .. والله المستعان .

١ - فالعبادات عامة : يتجلى فيها التزكية بدّل معانيها أكثر من غيرها . هى تطهير من الأوزار . والذنوب والأوضار .

هى تنمية...للصلة بالله سبحانه وتعالى يزيد بها الايمان.. « **اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** » (١٢٣) .

هى تسام ... وارتفاع يرتفع بها المسلم عن الطين ليقترب من عالم الروح . لتسبح روحه فى ذلك الأفق السامق ... حتى تتصل بالملائكة أو تكون خيرا منها .

وفى حديث حنظلة رضى الله عنه ما يشير الى ذلك التسامى الغريب الذى يمكن أن يتكرر مع كل عبادة تتحقق فيها أركانها وشروطها :.

٢ - ان للعبادات ركنين أساسيين : أولهما الاخلاص : يحكمه قول رسول الله ﷺ « انما الأعمال بالنيات » (١٢٤) والآيات والأحاديث فى المعنى كثيرة .

ثانيهما : أداء العمل على النحو الذى أمر به الله ورسوله يحكمه

---

(١٢٣) فاطر : ١٠

(١٢٤) متفق عليه .

قول رسول الله ﷺ : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » (١٢٥) .
أى مردود عليه وباطل .

واذا أمكن فى أعمال أخرى التهاون أو الاختلاف فى شىء من ذلك فان ذلك غير وارد بالنسبة للتعبد .

٣ ـ فى الصلاة : طهر واغتسال ، لقول رسول الله ﷺ : « لو أن بباب أحدكم نهرا يغتسل به كل يوم خمس مرات أيبقى عليه شىء من الدرن » (١٢٦) .

« أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (١٢٧) .

وفى الصلاة صلة بالله تعالى تنمو وتزيد مع الاقبال والاخلاص والاخبات « ان بيوتى فى الأرض المساجد ، وان زوارى فيها عمارها ، فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، فحق على المزور أن يكرم زائره » .

« قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فاذا قال العبد : « **الحمد لله رب العالمين** » قال الله : حمدنى عبـدى ، واذا قال : « **الرحمن الرحيم** » قال الله : أثنى على عبدى . واذا قال العبد : « **مالك يوم الدين** » ، قال : مجدنى عبدى ، واذا قال : « **اياك نعبد**

---

(١٢٥) رواه مسلم .
(١٢٦) رواه مسلم وأحمد وأبو داوود والترمذى
(١٢٧) العنكبوت : ٤٥ .

وإياك نستعين » ، قال هذا بيني وبين عبدى ، فاذا قال : « **اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » ، قال : هذا لعبدى ، ولعبدى ما سأل » (١٢٨)

والصلاة بعد ذلك علاج للهلع الذى يجعل الانسان جزوعا من الشر مناعا للخير : «**ان الانسان خلق هلوعا•اذا مسه الشر جزوعا• واذا مسه الخير منوعا • الا المصلين** » (١٢٩) •

وكان الرسول ﷺ اذا حزبه أمر نهض الى الصلاة •

وهى بعد ذلك الملجأ للمحتاج والراحة للمضطرب والواحة وسط صحراء الحياة • « **واستعينوا بالصبر والصلاة** » (١٣٠) •

« أرحنا بها يا بلال » •

« وجعلت قرة عينى فى الصلاة » (١٣١) •

٤ ــ وفى الزكاة : طهر للنفس من الشح ، ومـا أشده من مرض على النفس « **وأحضرت الأنفس الشح** » (١٣٢) •

---

(١٢٨) رواه ابو نعيم فى الحلية •

(١٢٩) المعارج : ١٩ ــ ٢٢ (١٣٠) البقرة : ٤٥

(١٣١) رواه أحمد والنسائى والبيهقى فى السنن الكبرى عن أنس رضى الله عنه •

(١٣٢) النساء : ١٢٨

« **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ، ان صلاتك سكن لهم** » (١٣٣) •

وفيها نماء للخير فى النفوس ونماء للمال فى الجيوب ، فالنفس التى تعتاد البذل تعتاد الخير وينمو فيها ، والمال الذى يبذل لاينقص به المال بل يزيد : « **لا ينقص مال من صدقة** » •

وفيها تكافل بين طبقات المجتمع تزيل ما قد يظهر بدونها من أحقاد ، وتبطل دعاوى الجاهلين والمبطلين بصراع المجتمعات •

وفى انفاقها على مصارفها تنظيم اقتصادى جميل وعجيب لا تتتبع له هذه السطور (١٣٤) •

٥ ــ وفى الصوم والحج ••• والدعاء والذكر : ثم فى سائر النوافل من الخير الكثير ••• ويكفى ذلك الحديث الجامع : « ما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها،وان سألنى لأعطينه،ولئن استعاذنى لأعيذنه» (١٣٥)

---

(١٣٣) التوبة : ١٠٣.

(١٣٤) راجع « دعاة لا جباة » للمؤلف •

(١٣٥) رواه البخارى •

بيد أننا نشير الى نافلتين لهما فى مجال « التزكية العملية » أبعد الأثر :

أما الأولى : فقيام الليل — وفيه نقول بعون الله تعالى : ان عليه كان تربية الجماعة الأولى ·

« **يا أيها المزمل · قم الليل الا قليلا · نصفه أو انقص منه قليلا · أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا · انا سنلقى عليك قولا ثقيلا· ان ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا** » (١٣٦) ·

وأن رسول الله ﷺ ما تركه فى سفر ولا فى حضر ·

وأن النصوص تواترت على فضله : « **وبالأسحار هم يستغفرون** » (١٣٧) ·

« **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** » (١٣٨) ·

« **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** » (١٣٩) ·

ومن الأحاديث النبوية : « عش ماشئت فانك ميت ، وأحبب من شئت فانك مفارقه ، واعمل ما شئت فانك مجزى به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » ·

« ··· وأن تصلى والناس نيام » ·

---

(١٣٦) المزمل : ١ ــ ٥ ·
(١٣٧) الذاريات : ١٨ ·
(١٣٨) السجدة : ١٦ ·
(١٣٩) الاسراء : ٧٩ ·

ان الممارسة العملية لهذه السنة الكريمة أثبتت ـ فى العصر الحاضر ـ فائدتها الجليلة وأثرها العميق فى صفـاء النفوس وفى جلاء القلوب •

أما الثانية – فصيام التطوع : وهو يتحقق فيه ما يتحقق من آثار الصيام عموما ، وفى مقدمتها أن يورث التقوى • والتقوى مرحلة من مراحل التزكية متقدمة •

والتطوع يؤدى معنى آخر •• هو اقبـال النفس •• اقبالا يطوعها لما فوق ذلك • ومع هذا وذاك •• دعاء تنفثه النفس بالأسحار أو فى الثلث الاخير من الليل حيث يتنزل الرب سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا ••• حسبما جاء فى الحديث : « ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له » (١٤٠) هذا الدعاء يريح النفس ويزيح عنها همومها وآلامها ، فضلا عن انه يحقق العبودية فى جانب العبد ، والربوبية فى جانب الرب سبحانه وتعالى : **« أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أ الله مع الله » ؟** (١٤١) •

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » (١٤٢) •

---

(١٤٠) متفق عليه • (١٤١) النمل : ٦٢

(١٤٢) غافر : ٦٠

وقد صح فى الأثر « الدعاء مخ العبادة » •

ومع الدعاء ذكر •• يترطب به اللسان ويطمئن به القلب « **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** » (١٤٣) • وأعلى الذكر كتاب الله سبحانه – يقرؤه المسلم ويرتله ، ويتفهم معانيه ، ويتدبر آياته ومعه فى كل حالة ذكر ••• ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وتأمل بالجنان ، وتفكر فى خلق السموات والأرض : « **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » (١٤٤) •

كلمة أخيرة ••

نحن نقدر لبعض الدعاة جهدهم فى مجال التربية والتزكية ، ونقدر لهم اهتمامهم بجانب التعبد ، وقد صح فيه الكثير من الآثار ، بل ان أركان الاسلام الخمسة أربعة منها خاصة بالتعبد « الزكاة ، الصلاة ، الصيام ، الحج » وما يدور حولها من شعائر ، بيد أنا نعتب عليهم اقتصارهم على هذا الجانب ، لأن الاقتصار على جانب يؤدى الى أضرار كثيرة :

أولها : سوء فهم الاسلام كنظام شامل تناول الدنيا والآخرة ، والعبادة والمعاملة ، والحكم والاقتصاد ، والاجتماع •

---

(١٤٣) الرعد : ٢٨

(١٤٤) راجع فى الاذكار المختلفة كتب الأذكار فى الصحاح ، ورسالة المأثورات للامام حسن البنا – والآية من سورة آل عمران : ١٩١ •

ثانيها : تضخم جانب يكون على حساب جانب آخر .

واذا كانت الحيـاة كلها محـراب عبادة . فان الاقتصار على جانب التعبد يفقد بقية جوانب الاسلام فيكون مثله كمثل من يتعبد بصلاة الصبح دون صلاة الظهر أو العصر أو المغرب « **فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون** » (١٤٥) .

ثالثها : الغفلة عن غير جانب التعبـد يخضعه غفلة أو عنوة لغير أحكام الله .. ومن ثم نرى الأحكام الوضعية فى جوانب الحياة تحكمها وتخضعها وتعبد فيها الناس لغير الله رب العالمين .

ترى هل ننتبه الى أن الاسـلام منهج شـامل ، وأن التربية الاسلامية بدورها منهاج شامل كذلك ؟ .

* * *

رابعا ـ التزكية بالمعاملات :

المعاملات قيم العبادات : فهى فى التقسيم الفقهى مقابلة لها . وهو ما قد يوحى بأن جانب التزكية هو فيما يتعلق بالتعبد من صلاة وصوم وقيام وحج ، أما ما يتعلق بالمعاملات فهو طليق من القيود بعيد عن مجال التزكية . وهو خطأ يوحى به هذا التقسيم من بين ما يوحى . وسوف يتبين لنا عمق الخطأ عما قريب باذن الله تعالى .

---

(١٤٥) الماعون : ٤ ، ٥

كذلك فقد لا يقدر البعض ساحة المعاملات فى الاسلام وأهميتها •

انها تمتد لتشمل كل ما يسمى بلغة البعض «فروع القانون العام» و« فروع القانون الخاص » والأول هو الذى تكون الدولة طرفا فيه باعتبارها صاحبة سلطان وسيادة ، والثانى هو ما لا تكون الدولة طرفا فيه بهذه الصفة ، ويغلب أن يكون علاقات بين الأفراد ، واذا وجدت الدولة طرفا فيه فليس باعتبارها صاحبة سلطان وسيادة •

وفروع القانون العام تشمل القانون الدولى العام (الذى ينظم العلاقات بين الدول) ، القانون الدستورى (الذى ينظم شكل الدولة وسلطاتها وحقوق الحاكم والمحكوم) ، القانون المالى (الذى ينظم الايرادات ، والمصروفات ، وأمور الميزانية ، وما يتعلق بهذا كله) ، القانون الجنائى (الذى ينظم الجرائم ويحددها ويضع لها العقوبات)، القانون الادارى (الذى ينظم الادارات والمؤسسات والمرافق العامة وما يتعلق بهذا كله) •• الخ •

أما فروع القانون الخاص : فتشمل القانون المدنى (الذى ينظم العقود من بيع وشراء وايجار ، وينظم التصرفات المنفردة كالهبة والوصية •• الخ) ، والقانون التجارى (وهو ينظم ذات العلاقات بين التجار) ، والقانون البحرى (ما يتعلق بشئون البحر ومايجرى فيه) ، وقانون المرافعات (ويتضمن اجراءات الدعوى والمدعى والمدعى عليه •• الخ ••) وهكذا ••

والمعاملات فى الاسلام تشمل نطاق القانون العام والقانون

الخاص ، وقد تزيد على ذلك لأنها تشمل النظام الاقتصادى • أو النظام الاجتماعى ، وفيها ما لا يدخل تحت تلك الفروع ، وذلك فضلا عن شمولها النظام السياسى الذى قد يدخل القانون الدستورى والدولى تحت نطاقه •

والمعاملات بهذه المثابة تكاد تشمل حياة الفرد ، وحياة الأسرة، وحياة المجتمع • وهى وثيقة الصلة بالعقيدة والأخلاق لربط النصوص اياها بها ـ وهى فى الوقت نفسه مجال كبير للتزكية ، بل ان التزكية مع ترك نطاقها تكون محدودة وتكون مبتورة ، وهكذا يشيد بناء التزكية بعضه بعضا •

وسوف نورد مثالين من سورتين يبين منهما ارتباط المعاملات بالاخلاق والعقيدة ، ثم نبين فيهما كذلك مجال التزكية الكبير من خلال أحكام المعاملات •

وقبل ذلك نشير الى أن التزكية تتم على النحو التالى :

(أ) تعلم وتعود الحلال والحرام :

ففى مجال المعاملات نصوص توضح الحلال ، وأخرى توضح الحرام ، والوقوف عند محارم الله ، ومن ثم كانت التزكية من خلال تعلم أحكام الحلال والحرام ثم تعودها حتى لا يتعداها •

فاذا أخذنا البيع والشراء : ففيه أحكام تحرم الربا •

وفيه أحكام تكره بيع الرجل على أخيه •

وفيه أحكام تجعل الخيار للعاقدين ما لم يتفرقا « خيار المجلس » (١٤٦) .

وفيه غير ذلك . والوقوف عند تلك الاحكام وقوف عند حدود الحلال والحرام .

بيد أننا نود أن نشير الى أنه فى مجال المعاملات يرجع لدينا أن الأصل هو الاباحة ، بينما فى مجال الأبضاع الأصل هو الحظر **« والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين »** (١٤٧) .

(ب) البعد عن المشتبهات بلوغا الى التقوى :

ذلك أن ثمة دائرة بين الحلال والحرام قد يشتبه على الناس فيها ، فالذى يود أن يبلغ حد التقوى ينبغى أن يتقى الوقوع فى الشبهات لقوله عليه الصلاة والسلام : « الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وان حمى الله محارمه » .

ولسلوك الصحابة رضوان الله عليهم طريق « ترك ما لا بأس به مخافة أن يكون به بأس » .

---

(١٤٦) ورد فى الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

(١٤٧) المؤمنون : ٥ ، ٦ .

(ج) التزام الأحكام العملية تعبدا :

ولئن قسم الفقهاء الحقوق الى حقوق لله وحقوق للعباد ، وجعلوا من الأخيرة أحكام المعاملات ، بحيث قد يظن العامى أن ليس لله فيها حق • وقد فطن الى هذا أحد العلماء (الامام الشاطبى رحمه الله) فقال : انه ما من حق للعبد الا ولله فيه حق •

وقسم الحقوق ثلاثة :

حق لله خالص •

حق للعبد غالب ، ولله فيه حق •

خق للعبد ولله فيه حق •

ومن ثم فانه وفقا لهذا التقسيم لا يخلو حق من حق لله • وهو أمر يثير فى النفس التزكية ، ومن ثم يحرص المسلم على الوفاء بحق الله مع كل حق للعباد ، ويرقب الله بذلك فى كل تصرفاته (المدنية والتجارية) العامة ، والخاصة •

• نموذجان :

الأول : سورة الحجرات :

تضمنت أحكاما عديدة أكثرها أحكام اجتماعية ، وهى سورة مدنية تضمنت ثمانية عشر آية ، وتضمنت الآيات حوالى اثنا عشر حكما ، ومع ذلك تخللتها آيات التزكية بالتقوى • وبوجود رسول الله ﷺ بينهم ، ومن الله عليهم بالايمان وحببه للمقسطين • والأمر بالتقوى للتعرض لرحمة الله ، والتخويف من الفسوق بعد الايمان ،

والتخويف من أكل اللحم الميت بما يقترف من الغيبة وهكذا ...
ويختم السورة بـ « **ان الله يعلم غيب السموات والأرض ، والله بصير بما تعملون** » (١٤٨) مما يوقظ فى النفس المراقبة لله عالم الغيب البصير بكل ما نعمل .

الثانى : سورة الطلاق (النساء الصغرى) :

وهى اثنى عشر آية ـ تضمنت حول عشرة أحكام وتضمنت معه تزكية وتذكيرا .

مع أول آية : أمر بالتقوى وتذكير بأنها حدود الله وتأكيد على أن من يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه ، ثم ايحاء بأنه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ، كل ذلك يأتى فى آية واحدة ومع أمرين اثنين ، أن يكون الطلاق للعدة ، وأن لا يخرجن من بيوتهن .

وفى الآية الثانية أمر بالامساك بالمعروف أو بالمفارقة بالمعروف ومعها أمر بالشهادة ومعهما تذكير يرقى النفس ويزكيها :
« **ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر** » (١٤٩) .

ثم تعقيب « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه** » (١٥٠) .

ومعها « **ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شىء قدرا** » (١٥١) .

---

(١٤٨) الحجرات : ٢٨ — (١٤٩) الطلاق : ٢
(١٥٠) الطلاق : ٢ ، ٣ — (١٥١) الطلاق : ٣

ويتكرر التذكير بالتقوى وعاقبتها فى الآيات التالية وبصورة أخرى جميلة :

« ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » (١٥٢) •

« ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » (١٥٣) •

ثم يأتى تذكير آخر : **« سيجعل الله بعد عسر يسرا » (١٥٤) •**

ومعه أو بعده تهديد شديد : **« وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا • فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا • أعد الله لهم عذابا شديدا ، فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا،قد انزل الله اليكم ذكرا»(١٥٥)**

ثم يختتم السورة بما هو أقرب الى التهديد : **« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد احاط بكل شىء علما » (١٥٦) •**

وهكذا والنماذج كثيرة • والله تعالى أعلم •

* * *

---

(١٥٢) الطلاق : ٤
(١٥٣) الطلاق : ٥
(١٥٤) الطلاق : ٧
(١٥٥) الطلاق : ٨ ـ ١٠
(١٥٦) الطلاق : ١٢

الأساس الثالث : تعلم الكتاب والحكمة

● تقدمة :

لا نزال نتحدث فى الأسس العملية للتربية الاسلامية ·

ذكرنا الاستجابة وكيف أنها تعلم وتعود ، وهى التى تشكل الركيزة الأولى للتربية الاسلامية وذكرنا التزكية وعرفنا أنها تخلية ثم تحلية بالعقيدة والاخلاق والتعبد والمعاملة وهى تشكل عمود التربية الاسلامية ·

والآن نختتم بتعلم الكتاب والحكمة :

وأول ما يوحيه النص أن على المسلمين أن يتعلموا القرآن والسنة ·· وهذه من معانى النص لا شك فى ذلك ·

لكن النص يوحى بمعنى أعمق فى تعلم الكتاب ، ومعنى أعمق فى تعلم الحكمة · وسوف نعرض لهذا وذاك بعد العرض للمعنى الأول ، والله المستعان ··

أولا ـ تعلم القرآن والسنة :

لا شك أن تعلم القرآن واجب ، وكذلك تعلم السنة · خاصة ما كان متعلقا منهما بالمعلوم من الدين بالضرورة الذى لا يسع مسلما جهله أو الاحتجاج بجهله ·

ذاك قدر لازم وواجب ـ فى مجال التربية ·

ومن ثم فعلى واضعى المناهج فى التعليم ، وعلى واضعى برامج الاعلام أن يراعوا ذلك ودراسة هذا وذاك أولى بلا شك من مناهج فاسدة أو غير مفيدة ، وأولى كذلك من برامج تافهة وأخرى تشيع الفاحشة وتدعو اليها بين الناس .

واذا لم يتح هذا الأمر فى تعليمنا أو فى اعلامنا ، فعلى القائمين على أمر الدعوة الاسلامية أن يتيحوا لأعضائهم أولا ـ ثم للناس كافة ـ أن يتعلموا الكتاب والسنة وواجبهم فى ذلك كبير وأكيد .

وأحسب أن المساجد ـ خاصة تلك التى أفلتت من محنة التأميم ـ تقوم على هذا الأمر فى طول العالم الاسلامى وعرضه ، وحتى التى أصابها التأميم تقوم به وان كان أثره بطريقة « وظيفية » أقل كفاءة مما يؤديه المتطوعون .

* * *

ثانيا ـ علم الكتاب :

علم الكتاب هنا شىء غير تعلم الكتاب أو تعلم القرآن .

انه مرحلة عليا لا يستطيعها كل مسلم ، وينبغى أن يحاول البعض وأن يساعدهم من سبقوهم للبلوغ اليها .

نلمح ذلك من خلال ما حكت سورة النمل عن : « **الذى عنده علم من الكتاب** » فقد استطاع ما لم يستطعه عفريت من الجن فقد قال الأخير : « **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** » وقال الأول : « **أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك** » (١٥٧) .

---

(١٥٧) النمل : ٣٩ ، ٤٠ .

ولعل هذا المستوى هو الذى تشير اليه الآية الكريمة . « **وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم** » (١٥٨) ـ عند الذين لا يجعلون الوقف لازما بعد لفظ الجلالة ... فيكون المعنى أن الراسخين فى العلم يعلمون بعد الله تأويله (أى تأويل المتشابه) .

كذلك قد يؤكدها قول الله تعالى : « **ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** » (١٥٩) ، فلعل هؤلاء هم الراسخون فى العلم أو هم الذين أوتوا علم الكتاب .

كذلك قول الله تعالى « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » (١٦٠) .

هذه الطائفة التى أمر الله أن تنفر للتفقه فى الدين رغم حالة الحرب ، هى المعنية بالنصوص السابقة ، وبغيرها من مثل قول رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

ومن ثم وجب فى مجال التربية اعداد هذه الطائفة على نحو رفيع .

* * *

ثالثا ـ تعلم الحكمة :

لابد لهذه الطائفة « المختارة » من أن تتعلم الحكمة كذلك .. فما الحكمة ؟

---

(١٥٨) آل عمران : ٧ (١٥٩) النساء : ٨٣
(١٦٠) التوبة : ١٢٢

الحكمة لغة : هى العدل ، والعلم ، والحلم ، والنبوة ، والقرآن ، والانجيل (١٦١) ٠

وهى كذلك : الاتقان : أحكم الأمر : أتقنه ، وأحكمته التجارب فصار حكيما (١٦٢) ٠

وهى كذلك اصابة الحق بالعلم والعمل ٠

وهى ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب (١٦٣) ٠

وقد ترد بمعنى النبوة والرسالة **«وآتاه الله الملك والحكمة»** (١٦٤) **« وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب »** (١٦٥) ٠

والحكمة شرعا : هى الاصابة فى القول والعمل معا (١٦٦) ٠

ووضع كل شىء فى موضعه (١٦٧) ٠

وقد ترد بمعنى السنة ، أو القرآن ، أو النبوة (١٦٨) ٠

---

(١٦١) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٥٨ طبعة ثانية ٠
(١٦٢) لسان العرب جـ ١٢ ص ١٤٠ بتصرف ٠
(١٦٣) تاج العروس جـ ٨ ص ٢٥٣ ٠
(١٦٤) البقرة : ٢٥١ (١٦٥) سورة ص : ٢٠
(١٦٦) الطبرى جـ ٣ ص ٦٠ ، الرازى جـ ٤ ص ٧٣
(١٦٧) ابن كثير جـ ١ ص ١٨٤ - روح المعانى للآلوسى جـ١ ص ٣٨٧ ٠
(١٦٨) الطبرى وابن كثير والآلوسى والنسفى ، الأولى سبقت ، والأخيرة جـ ٢ ص ١٦٦

وقد ذكر البعض فيها ٢٩ مقالا بمعان متقاربة • وذكر ابن كثير أن الصحيح : أن الحكمة لا تختص بالنبوة بل هى أعم منها •

ونحن نجمع بين المعنيين اللغوى والشرعى لنقول : اننا نحسب المقصود بالحكمة فى النص الكريم هو العلم والحلم والاتقان والحنكة التى تولدها التجارب واصابة الحق علما وعملا ، والاصابة فى القول والعمل ، ووضع كل شىء فى موضعه •

ومن ثم يكون واجبا فى مجال التربية البلوغ بطائفة معينة الى مستوى الحكمة : **«ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا»** (١٦٩)

ومن أمثلة الحكمة تصرف سليمان عليه السلام بالنسبة للمرأتين اللتين تنازعتا طفلا • فقد قال : أتونى بالسكين أشقه بينكما ، فقالت احداهما : لا ، يرحمك الله هو للأخرى ، فأعطاه لمن قالت ذلك •

ومن أمثلة كثيرة فى حياة رسول الله ﷺ تصرفه مع حاطب بن أبى بلتعة الذى أخبر كفار مكة بقدوم الرسول ﷺ عليهم وتصرفه مع أبى بن سلول عندما قال : « **لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**» (١٧٠)،وتصرفه مع الذى جاءه يقول : أريد أن أزنى يارسول الله ، فما غضب ولا نهر بل قال : أترضاه لأمك ، أترضاه لأختك »• وقوله ﷺ للسعدين عند غزوة الأحزاب بعد ما سمع نقض بنى قريظة لعهدهم : « ان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس ، وان كانوا على الوفاء فاجهروا به » •

* * *

---

(١٦٩) البقرة : ٢٦٩ (١٧٠) المنافقون : ٨

الفصل الثالث

مصادر التربية الاسلامية

نحن لا نتحدث فى مجال أصول الفقه ، وبالتالى لا نسرد تحت هذا العنوان ما يسرده الكاتبون والعلماء تحت « مصادر الحكم الشرعى » وان كان ثمة تقارب بين النوعين ، كما سوف نرى بمشيئة الله . ولكن يبقى أن التربية تتفرد بمنهجها فى الترغيب والترهيب ، فى زرع الاستجابة واحداث التزكية ، والبلوغ الى تعلم الكتاب والحكمة .

والناظر الى ما فعله السابقون الأولون يجد أنهم أخذوا من مصدرين أساسيين . الأول : هو الكتاب ، والثانى : هو سنة رسول الله ﷺ .

ونحن على أثرهم بمشيئة الله .. أخذا والتزاما وتعليما .

بيد أن لنا أن نشير الى أن جزءا هاما ينبغى أن يلحق بالسنة هى الأفعال التى آتاها الرسول ﷺ ولنا فيه أسوة حسنة ، وكذلك الأفعال التى أتاها الصحابة وأقرهم عليها رسول الله ﷺ .. والأولى سنة فعلية ، والثانية اقرارية ، وهذه وتلك تلحق سنة رسول الله ﷺ القولية . ونرى أنه فى مجال الحديث عن التربية ينبغى ابراز هذا الجانب العملى لأن به تكون الأسوة ، وبه تكون التربية أنجح

وأنجع ، ومن ثم فسوف نجعل هذا القسم متوسعا فيه بعض الشىء وندرجه تحت قسم ثالث هو « السيرة » ..

ونقصد بها سيرة الرسول ﷺ ثم ما تيسر من سيرة صحابته رضوان الله عليهم ، باعتبار تمثل هؤلاء لعمل رسول الله ﷺ ، وقوله، ومن قبل ذلك للقرآن الكريم . وباعتبارهم أقرب تطبيق عملى لمبادىء القرآن .

فهذه مصادر ثلاثة رئيسية نذكرها على التوالى ، ونشير من بعد ذلك الى سير التابعين ، والسلف الصالح ، من لدن التابعين وحتى اليوم ، فتلك صفحات مضيئة ظهر فيها أثر التربية الاسلامية الراشدة بعيدا عن زخرف القول وغرور النظريات ، وتساقطها بعيدا عن الغاية العليا والسبيل الأرشد .

والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

***

١ - الكتاب والسنة

الكتاب والسنة وكلاهما وحى .

الأول بلفظه ومعناه ، والثانى بمعناه دون لفظه .

وهما المصدر الأول للتربية الاسلامية . ذلك أن التربية لاتعدو

أن تكون فرعا علميا وعملياً من فروع الاسلام ، والكتاب والسنة أصل لكل فرع •

وسوف نشير بمشيئة الله تعالى الى بعض قواعد تعرفنا بالكتاب والسنة • ثم نشير كذلك بمشيئة الله الى كيفية التلقى عن الكتاب والسنة •

أولا ـ قواعد حول الكتاب والسنة :

١ ـ الكتاب هو المصدر الأول : لأنه بلفظه ومعناه من عند الله تعالى •

ولأن رسول الله ﷺ قد عصم فى التبليغ عن ربه « **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس** » (١) •

ومن ثم وجب الرجوع الى القرآن أولا •

٢ ـ القرآن كله مصدر :

فى أماكن أخرى (٢) أشرنا الى أن القرآن كله مصدر للتشريع ، وعده ووعيده ، قصصه وأمثاله ، أوامره ونواهيه •

وهنا نقول : اذا كان ذلك فى مجال التشريع فهو فى مجال التربية أولى • ذلك أن البعض قد يحتج فى المجال الأول بأنه اقتصر على

---

(١) المائدة : ٦٧ •

(٢) القرآن فوق الدستور ـ للمؤلف ـ ومؤلفات أخرى •

دائرة الاحكام الشرعية ، بمفهومها الاصطلاحى « خطاب الله الى العباد بطلب فعل أو طلب كف ‥ » أما فى مجال التربية فان التوجيه أدخل فيها من التشريع ، والقصص أولى بها من مجال الأحكام .

وذلك فضلا عن قاعدة عامة تحكم هذا وذاك « ان كتاب الله لا يقبل التجزئه » .

« واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » (٣) .

٣ ـ القصص مورد عذب وهام للتربية :

قصص القرآن ساحته كبيرة ، وهو يتكرر كذلك فى القرآن .

وليس هذا ولا ذاك تسلية ولا تسرية .

لكنه كما قال رب العالمين « **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** » (٤) .

واذا أمسكنا بنموذج واحد كقصة يوسف عليه السلام . فكم نجد فيها من دروس التربية .

أول درس نتلقاه وجوب عدم التفرقة بين الأولاد فى المعاملة حتى لا يورثهم ذلك الحقد « **ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين** » (٥) .

---

(٣) المائدة : ٤٩ . (٤) يوسف : ١١١

(٥) يوسف : ٨ ، ٩

وثانى درس نتلقاه : درس الصبر •• يوسف يصبر على محنة الجب ، ويصبر على محنة الاسترقاق ، ويصبر على محنة المراودة ، ويصبر على محنة السجن ••• وأبوه من ورائه يصبر على محنة فراقه وهو أحب أبنائه اليه ، وان ظل يبكيه حتى ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ، ثم يصبر من بعده على فراق أخيه ، وعلى اتهامه بالسرقة •• ومع ذلك لا يفقد الثقة بالله : « **يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** » (٦) •

وثالث درس نتلقاه : منع الخلوات فى البيوت •• ومنع ذلك الاختلاط المشين بين الرجال والنساء ولو كان أحد الجنسين فى مقام أدنى من الناحية الاجتماعية فما خلا رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما ••• سواء أكان أحدهما خادما والآخر مخدوما •• وتلك مصيبة حياة القصور وما جرى مجراها • فتلك امرأة العزيز •• وهى تعلم مكانها ومكان زوجها تراود من ؟ تراود فتاها – أى عبدها – عن نفسه : « **وغلقت الابواب وقالت هيت لك** » (٧) • نداء •• أو اخبار « هيئت لك » • ثم حين يمتنع عنها يزداد سعارها فتعلن على الملأ « **ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين** » (٨) •

ورابع درس نتلقاه : عاقبة التقوى والصبر : « **انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين** » (٩) •

---

(٦) يوسف : ٨٧ •
(٧) يوسف : ٢٣ •
(٨) يوسف : ٣٢ •
(٩) يوسف : ٩٠

فهذا يوسف رغم مكانه فى القصر « فتى » ، ورغم مكان التى هو فى بيتها « سيدة أولى » يقول : « **معاذ الله انه ربى أحسن مثواى، انه لا يفلح الظالمون**» (١٠) فيمتنع،ثم يصبر،ويصبر على المؤامرة بعد ذلك « **ليسجنن وليكونن من الصاغرين** » (١١) بل يقول فى مجال التعالى على الاثم والتجافى عن الخطيئة « **رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه** » (١٢) .

فماذا كانت النتيجة ؟؟ .

أولا : اعلان براءته على ملأ كما كان اتهامه على ملأ : « **قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه ، وانه لمن الصادقين . ذلك ليعلم انى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين** » (١٣) .

ثانيا : صار الأمين على خزائن مصر : « **وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين** » (١٤) .

ثالثا : ما امتنع عنه فى الحرام مكنه الله منه فى الحلال ، فتزوج من امرأة عزيز مصر ، وبقدرة الله عادت شابة كما كانت يوم راودته عن نفسها .

---

(١٠) يوسف : ٢٣ — (١١) يوسف : ٣٢
(١٢) يوسف : ٣٣ — (١٣) يوسف : ٥١ ، ٥٢ .
(١٤) يوسف : ٥٦ .

رابعا : « ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » (١٥) .

أى درس رائع تزرعه هذه القصة فى النفوس تقوى وصبرا .

خامس الدروس : درس العفو ..

هذا يوسف يمكن من اخوته الذين القوا به فى الجب واتهموه بأنه سارق « **ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل** » (١٦) فماذا يكون موقفه بعد أن من الله عليه بالتمكين ؟

« **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** » (١٧) .

« **قال لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين** » (١٨) .

وماذا كان موقف والده « يعقوب » عليه السلام من ابنائه الذين عقوه ؟ « **قال سوف أستغفر لكم ربى ، انه هو الغفور الرحيم** » (١٩)

٤ ـ السنة تقف مع القرآن موردا عذبا :

لئن تميز القرآن بأنه المصدر الاول ، ولئن تميز كذلك بان تلاوته فى حد ذاتها عبادة . فان السنة تقف مع القرآن موردا عذبا للتربية الصحيحة التبليغية . ففيها فصل ما أجملة القرآن . وخصص

---

(١٥) يوسف : ٥٧ .
(١٦) يوسف : ٧٧
(١٧) يوسف : ٩١ .
(١٨) يوسف : ٩٢ .
(١٩) يوسف : ٩٨ .

أو قيد العام والمطلق ، وفيها ما جاء « زائدا » عن القرآن وان أمكن رده الى القرآن كذلك • ولقد كان فيها التشريع والتوجيه •.

كما كان فيها القصص وضرب الامثال •

● وقصة الثلاثة الذين غلقت عليهم الصخرة فدعا كل بصالح عمله تعطى دروسا عديدة •

١ - درس التقوى : ففى كل عمل لهؤلاء الثلاثة كانت تقوى الله سبحانه •• سواء الذى جلس يحمل غبوق اللبن حتى يصحو والداه احسانا اليهما • أو الذى امتنع عن ابنة عمه وهى أشهى ما تكون لنفسه خوفا من الله وحياء منه • أو الذى ثمر أجر الأجير حتى زاد أضعافا كثيرة •• كل أولئك كانت غايتهم التقوى •

٢ - عاقبة التقوى : كما تظهر من القصة كانت انفراج الصخرة شيئا فشيئا حتى استطاعوا الخروج : « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا** » (٢٠) •

٣ - شمول الاعمال الصالحة : فليست قاصرة على تعبد فقط ، بل ان هذه الأعمال الثلاثة لم يكن فيها تعبد بالمعنى الاصطلاحى ، ومع ذلك كانت سببا فى فرج الله سبحانه وتعالى •

● وقصة الغلام والساحر فيها الكثير ••

فيها كيف يكبر الايمان دون تقيد بالسن •

---

(٢٠) الطلاق : ٢.

فيها كيف يجعل الله فردا واحدا سببا لايمان أمة وهداية شعب.

فيها كيف يستعلى الايمان على الجبروت : « **فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا** » (٢١) .

فيها دناءة الطغيان وقلة وفائه ، اذ ضحى الملك بجليسه ثم ضحى بالعالم (الراهب) ثم ضحى بالغلام الصغير .

ثم لم يتحرج عن أن يشق الأخاديد لشعبه كله لما آمن .

فيها تفسير للطغيان : « **وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** » (٢٢) .

فيها سنة الله : « **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** » (٢٣) .

* * *

٢ ـ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

أما سيرة الرسول ﷺ ، فهى « النموذج » « والمثل الأعلى » للتربية الاسلامية . تمثل فيها التطبيق البشرى لكل مبادىء الاسلام .

---

(٢١) طه : ٧٢ (٢٢) البروج : ٨
(٢٣) العنكبوت : ٢ ، ٣ .

فان تحدثنا عن العقيدة .. وجدنا فى عقيدة رسول الله ﷺ النموذج والمثل .

وان تحدثنا عن « الأخلاق » وجدنا فى أخلاق رسول الله ﷺ النموذج والمثل الأعلى .

وان تحدثنا عن التعبد وجدنا فى تعبد رسول الله ﷺ النموذج والمثل الأعلى .

وان تحدثنا عن المعاملة وجدنا فى تعامله ﷺ النموذج..وهو فى ذلك حجة ، لأنه بشر مثلنا يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق .

وعصمته فيما يبلغ عن ربه .

ولأننا مدعوون أن نتخذ منه « أسوة وقدوة » « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » (٢٤) .

ولسنا بمستطيعين أن نضرب النماذج التفصيلية من سيرة رسول الله ﷺ لأن ذلك يحتاج الى دراسة خاصة . لكنا نشير الى أن فى سيرته :

- الاستجابة لله .

- التزكية بفروعها وتفاصيلها .

- تعلم الكتاب والحكمة .

---

(٢٤) الاحزاب : ٢١ .

فى سيرته كيف يربي الانسان نفسه ، وكيف يربى الإنسان غيره .

وهذا وذاك نحتاجه لنضرب للناس النموذج العملى فى هذا المجال وذاك . وحسبنا فى السيرة هذه الاشارة .

* * *

٣ - سيرة الصحابة والتابعين

لئن كانت سيرة الصحابة ومن بعدهم التابعين تأتي فى المرحلة التالية بعد سيرة رسول الله ﷺ ، فإنها تستمد أهميتها من أنهم بشر . وليسوا ملائكة ، وليسوا كذلك أنبياء ... ومن ثم فهم حجة على من بعدهم من الاجيال أن يحاولوا الرقى كما ارتقوا ، وأن يحاولوا الارتفاع كما ارتفعوا .

وفى سيرة صحابة رسول الله ﷺ خاصة الراشدين منهم تكامل غريب .

● فى أبى بكر - رضى الله عنه - يبرز « رجل الساعة » الذى يتخذ المواقف .

موقفه في سقيفة بنى ساعدة ، وانقاذ أمر الخلافة من أن تصير الى الخلافة .

موقفه من حرب الردة ، وثاقب نظره الى حقيقة الاسلام أنه

لا يقبل التجزئة ، ولا يقبل المساومة • ومن ثم لا يفرق بين صلاة وزكاة ويـلنها وهو الذى اشتهر عنه : « والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه الى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه » •

موقفه قبل ذلك من تصديق رسول الله ﷺ حتى لقب بالصديق • ومواقفه فى مساندة رسول الله ﷺ والهجرة معه وافتداء رسول الله ﷺ •

● وفى عمر رضى الله عنه يبرز «رجل الدولة» الذى ينظم ويرتب، ويمتد بالدولة الاسلامية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، حتى يعـز الاسلام فيقول عمر : « ما حاجتنا الى نتبهم المؤلفة قلوبهم وقد عز الاسلام » •

ومع أنه كان رجل دولة ••• فلم يغادره التواضع ولا الرحمة •

يتعسس رعيته ، ويتفقد أحوالهم والناس نيام • فيجد من تشكو « الله » فى عمر فيقول لها : وما أدرى عمر ؟ فتقول التى تلقت الوعى الصحيح فى عهد الدولة الاسـلامية الزاهر : أيتولى أمرنا ويغفل عنا ؟ •

ويجد من تعلل أطفالها بالحصى وهم جياع فيبكى رجل الدولة ويحمل الدقيق على ظهره ويقول له بعض معاونيه : نحمل عنك يا أمير المؤمنين ، فيرفض ويقول : « أتحمـل عنى أوزارى يوم القيامة » ؟ •

ويجد من تجادل أمها وهى تغش اللبن ، وتقول لها : الم ينهنا أمير المؤمنين عن ذلك ؟ فتقول لها الأم : ولكنه لا يرانا ، فترد الفتاة المسلمة : ان لم يكن يرانا فالله يرانا • فيختارها أمير المؤمنين زوجة لابنه ليكون منها الخليفة العادل « عمر بن عبد العزيز » وهكذا •

● ويأتى عثمان رضى الله عنه فتمثل فى سيرته : السخاء ، والجود والكرم ، وتقديم المصلحة العامة للمسلمين على كل مصلحة خاصة ، ثم التقوى •• غاية التقوى •

وقصته فى تجارته التى عرض عليه فيها تجار مكة ضعفين وثلاثا فيقول لهم : لقد وجدت من يعطينى أضعاف ذلك •• فيحتارون ويتساءلون : من ؟ فيقول : الله رب العالمين : « **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها** » (٢٥) •

وقصته مع الوفود التى حاصرته ، وهو يأبى أن يقاتلها حتى لا يسفك الدم المسلم ويبقى صائما مرتلا للقرآن حتى ينقض عليه من يقتله وهو كذلك •

● ويأتى على رضى الله عنه ••• يمثل فى سيرته الشجاعة والاقدام والعلم والفقه والوقوف الى جانب الحق •

---

(٢٥) الأنعام : ١٦٠ •

أما الأولى فمواقفه ومشاركته فى غزوات الرسول ﷺ ثم قتاله ابان حكمه كأمير للمؤمنين ٠

وأما الثانية فيكفى فيها توقيفه لعمر لما سأل : ما رأيكم فيما لو شاهد أمير المؤمنين اثنان يزنيان ؟ ، فيقول : يأتى بأربعة شهداء والا أقيم عليه الحد ٠

وأما الثالثة : فموقفه من الذين غالوا فى حبه ٠٠ فحرقهم لأن حب الله وتوحيده وتنزيهه مقدم على كل حب آخر ٠ كذلك موقفه من الخوارج الذين أرادوا أن يكفروا النـاس بالمعصية ٠ جادلهم بالتى هى أحسن حتى اذا لم تفلح ٠٠ جالدهم بالتى هى أقسي ٠

وفى سيرة التابعين الكثير ٠٠ ومن تابعهم باحسان الى يوم الدين ٠

* * *

الباب الثالث

الوسائل والأساليب

- وسائل التربية الاسلامية
- أساليب التربية الاسلامية

الوسائل والأساليب

● **نقدمــة :**

يخلط البعض بين الوسائل والأســاليب ، فيذكر الأخيرة أو أنواعها فى معرض الحديث عن الأولى • وللدقة : فان الوسائل غير الأساليب •

الوسيلة هى أداة ايصال الشىء أو بتعبير آخر « القنوات » (١)

أما الأسلوب : فهو الطريقة التى يؤدى بها ، أو الفن الذى يتم به (٢) •

فالتعليم وسيلة ، والاعلام وسيلة • أما كيف يؤدى مهمته • فتلك هى الاساليب ••

وللتربية وسائلها •• وأخطرها : التعليم ، والاعلام ، ثم البيت والمسجد ، والمجتمع •

ولها أساليبها •• وأهمها : القدوة ، والحــوار ، والقصة ، والتحــدث •

وسوف نشير بمشيئة الله الى كل بكلمة •

❋ ❋ ❋

---

(١) أسمى الأستاذ عبد الرحمن النحلاوى الوسائل وسائط ، واطلق الوسائل على الأساليب • راجع أصول التربية وأساليبها ، وكذلك فعل الاستاذ محمد قطب •

(٢) راجع مناهج الدعوة وأساليبها • للمؤلف (تحت الطبع)

الفصل الأول

وسائل التربية الاســـلامية

ومن قبل أن تعرف التربية الحديثة المدرسة ٠ عرفتها التربية الاسلامية بل تنزل للقرآن الكريم بها مهمة من مهمات النبى ﷺ ٠

والاعلام وان كان فى صورته الجديدة (مذياعا وصحفا ورائيا ومسجلا بالصوت أو بالصوت والصورة ٠٠) ان كان حديثا على هذا النحو فأصوله قديمة والاسلام يعتنى بها ويوجهها ٠

أما البيت فله فى الاسلام قدره ودوره ٠

وأما المسجد فله فى الاسلام ـ كذلك ـ قدره ودوره ٠

وأما المجتمع فله ـ أيضا ـ قدره ودوره ٠

وهو ما نتعرض له سريعا بأذن الله تعالى ٠

١ ـ وسائل التعليم المختلفة :

ذكرنا التعليم ولم نذكر المدرسة ، اذ له مراحلة وصوره ٠

ولا نود أن نهتم كثيرا بالشكل فالعبرة بالحقيقة والجوهر ٠

ولقد اهتم الاسلام بالتعليم ، وجعله احـدى مهمات الرسول ﷺ الثلاثة ٠

وأدرك أعداء الاسلام خطر التعليم فركزوا عليـه حين أرادوا التبشير فى صورته القديمة أو فى صورته الحديثة ٠

وذود أن نقرر هنا ـ أيا كان الشكل الذى يتم به التعليم ـ فانه ينبغى من خلاله أن تتم التربية ٠

ولعلها تتم فى أساسها العملى الثالث « **ويعلمهم الكتاب والحكمة** » (٣) ، وهذا صحيح ٠

لكن التعليم فى ظل نظام اسلامى ـ لابد وأن يتكفل بالثلاثة : استجابة ـ تزكية ـ تعلما للكتاب والحكمة ٠

ولا تقتصر مهمة التعليم فى ظل نظام اسلامى ـ على الأخيرة فقط ، وهذا يلزم معه :

(أ) وضع المنهج السليم الذى يحقق هذه الأمور الثلاثة ٠

(ب) وضع البرنامج « التنفيذى » فى اليوم والأسبوع والشهر الذى يحقق ذلك ٠

(ج) اختيار « المربى » اختيارا صالحا بحيث يتوافر فيه « القدوة الصالحة » وتجتمع له شرائط القدرة على تحقيق المنهج والتزام البرنامج ٠

٢ ـ الاعلام :

والاعلام يستخدم الآن فى أيدى المفسدين فى الأرض أشد مما استخدم التعليم خطرا وأوسع دائرة ، ومن هنا ينبغى الالتفات اليه

---

(٣) البقرة : ١٢٩ ٠

لجعله وسيلة تربية واصلاح بدلا من أن يكون وسيلة افساد وسوط عذاب •

وهنــا يلــزم الاجتهاد والبت فى بعض القضايا الفرعية ، التى يثيرها بعض الأخوة حول :

– مدى شرعية التمثيل لتقديم مسرحية أو تمثيلية أو فيلم • وذلك مع التسليم بخلو هذه مما فيه من حرام صريح •

– مدى شرعية (التصوير) وذلك فى مجال الصحافة أو المجلات، حيث غدا للصورة دورها وأداءها فى هذا المجال ، وأخطــر مجــال (التليفزيون ، والفديو) •

وذلك مع استبعاد ظهور المرأة كاشفة أو غير كاشفة •

– مدى شرعية (الموسيقى) اذا استبعدنا تلك التى تصور الاثارة أو تدعو اليها ، وهذا وغيره ما لا نستطيعه فى هذا المقام ، وما لا نحب أن نخوض فيه وحدنا بل نحب أن يتم فيه الاجتهاد (الجماعى) بلوغا الى الحق وسدا لذريعة الخلاف واستفادة بعد ذلك من وسائل العصر •

ونحب أن نلفت النظر ونحن ندعو الى الاجتهاد الجماعى ألا نقف جامدين ازاء التطور السريع والخطير فى وســائل الاعلام ، فتصير الى أيدى غيرنا يستخدمها سلاحا ضدنا ونقف نحن قاصرين على القديم خوفاً من البدعة والابتداع ، تماما كما قد يدعو البعض الى الاقتصار على السيف فى مجال الحرب وعدم استخدام الدبابة أو

الطائرة أو الصاروخ لأنهـا جميعـا بدع لم تكن على عهد السلف الصالح !!

– ان الوسيلة تحرم اذا كانت خبيثة أو تؤدى الى خبيث سدا للذريعة ، أما ان كانت فى حد ذاتها شيئا مباحا كصحائف الصحف ، وجهاز المذياع وجهاز الفديو أو جهاز التلفاز فان التحريم يكون تبعا للغرض والهدف ومراعاة لما تقدم هذه الأجهزة المختلفة • والله اعلم •

٣ – البيت :

البيت المسلم غاية من غايات هذا الشرع الكريم ، يحرص عليها ويدفع المسلمين الى اقامته والنصوص على ذلك كثيرة • والمقصود بالبيت هنا ليس الجدران ، ولكن من سكن هذه الجدران وهو عادة يكون من أب وأم وأولاد •

ومهمة الأب والأم الأولى فى هذا المجال هى التربية السليمة لهؤلاء الأولاد لأنهم أمانة ، « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » •

والأب عليه التوجيه ، والتنفيذ ان استطاع • والأم تحمل العبء الأكبر فى التنفيذ •

الأم مدرسة اذا أعددتهـا أعددت شعبا طيب الأعراق

والعلمانية فى وضعها الحالى تحاول أن تخرج الأم خارج البيت ، لتتخلى عن تلك المهمة الجليلة مهمة تربية النشء ،ويتم ذلك بوسائل كثيرة منها الدعوة الى التحرر والدعوة الى التوظف تحت شعارات زائفة كثيرة أهمها دعوى المساواة بين الرجل والمرأة•

وقد يلزم لهذه المساواة ـ جدلا ـ أن تسبقها مساواة أخرى هى المساواة الخلقية أو «البيولوجية» بين الرجل والمرأة، وهو أمر مستحيل لم يشاه خالق الكون فكيف نزعمه أو نفكر فيه او ندعو الى ما هو نتيجة لأزمة له ؟

والاسلام وان دعا المرأة الى العلم والتعلم ودعاها عند الحاجة بله الضرورة أن تخرج ، لكنه ندبها فى العموم أن تقر فى البيت لترعى هذا الصرح الكبير وترعى ما فيه ...

ولعمرى أن المهمة التى تقوم بها المرأة فى تنشئة الجيل وتربيته لهى أعظم من أى وظيفة أخرى مهما كان العائد التافه لهذه الوظيفة. انها مهمة الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

ولعمرى ان المرأة شقيت فى بلادنا بعد أن شقيت فى بلاد الغرب والشرق بما أحدثوه هنا وهناك اخراجا عن طبيعة المـرأة وتنكرا لفطرتها .

والعودة ببيوتنا الى ما كانت عليه البيوت الاولى هو الانقاذ مما نحن فيه ومما وقع فيه الجيل الجديد الذى فقد الأم ، فقدها حقيقة وان رآها صورة ، فوقع فى قتل الأم وقتل الأب ووقع فى غير ذلك مما تلاحقنـا به الأنبـاء بين الحين والحـين ، الأمر الذى لم يعد حالة فردية بل صـار ظاهرة اجتماعية لم يفهم خبراؤنا حتى اليوم سرها ؟ .

٤ ـ المسجد :

كان المسجد ·· مسجدا ، ومدرسة ، وقيادة ، ومجتمعا · واليوم صار مكانا لأداء الشعائر وكفى ·· وكان هذا صورة من الخراب الذى نهى الله عنه حين قال « **ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها** » (٤) ··

ولئن قامت المدرسة ومعها الجامعة لأداء مهمة التعليم بالدرجة الأولى وأضفنا اليها سائر مهمات التربية الاخرى فاننا نرى المسجد هو الوسيلة الاولى للتربية الاسلامية استجابة ، وتزكية ، وتعليما ·

فلترتفع عنه (الوصايات) الحكومية وغير الحكومية · وليعهد الى خيرة الدعاة وخيرة المربين · ليعيدوا اليه وجهه الأول ومهمته الأولى · والله المستعان ··

٥ ـ المجتمع :

تبقى التربية قاصرة اذا وجد الفرد والبيت والمدرسة والمسجد ولم يوجد المجتمع المسلم الذى شاءه رب العالمين مجتمع التزام لا مجتمع انتماء ، ان القذف بالفرد وسط مجتمع مسلم قد يغنى عن كثير من الوسائل ، وكثير من الوسائل لا تغنى عن مجتمع مسلم · ومجتمع مسلم تعلوه العقيدة الصحيحة وتجمله الأخلاق الكريمة ، وترتفع فيه الشعائر الاسلامية وتحوطه حدود الله وأحكام شرعه ·

---

(٤) البقرة : ١١٤ ·

مثل هذا المجتمع هو « البيئة الصحيحة » التى يجعلها الاسلام هدفه لكنها فى نفس الوقت وسيلة ٠

ولقد وقع الانحراف فى تاريخ الاسلام فى أنظمة الحكم أو أشخاص الحكام ، لكن بقى « المجتمع المسلم » هو الضمان لبقاء أحكام الاسلام وهو الذى استطاع أن يصحح ذلك الانحراف كلما وقع ٠

بيد أنا نشير الى أهمية « الأمة » التى جاء فى القرآن مواصفاتها أهمية أن تكون هى المجتمع أو على الأقل جزءا من المجتمع لتكون ضمانا من انحراف المجتمع كله ٠

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٥) ٠

« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٦) ٠

« لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم (أو خالفهم) حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » ٠

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » (٧) ٠

* * *

---

(٥) آل عمران : ١١٠ ٠ (٦) آل عمران : ١٠٤ ٠

(٧) التوبة : ١٢٢ ٠

الفصل الثانى

أساليب التربية الاســلامية

• تقدمـة :

قلنا انها القدوة ، والحوار ، والقصة والموعظة والحكمة والحدث وقد يحدث غيرنا غير ذلك ..

والقدوة تتقدم كل الأساليب ، انها تؤدى الى التربية عمليا .

والحوار يخاطب الاقناع أو العقل .

والموعظة والحكمة تجمع بين خطاب القلب وخطاب العقل معا .

والقصة تخاطب العاطفة والمشاعر وتستجيش فى الانسان كثيرا من الأشجان .

والحدث يهز ويربى من خلال الهزة العنيفة التى يحدثها داخل الانسان ، ذلك ما تلمسه باذن الله بشىء من التفصيل ...

١ ـ أما القدوة :

فانها أسلوب عملى تماما ينبع من فطرة الناس فى المحـاكاة والتقليد ، واذ كانت النفس مفطورة كذلك على التقوى والفجور ، فان القدوة الحسنة تؤثر ميلا الى التقوى ، ميلا الي السمو والارتفاع . مهما كانت التضحيات .

ولقد كان رسول الله ﷺ كذلك ، وكانت صحابته ، وكان التابعون ، ومن بعدهم بقيت القدوة فى الطائفة المختارة فى هذه الأمة لتكون عصمة لها من الزيغ والزلل وقد تقدم الحديث عن ذلك .

وبقى رسول الله ﷺ قدوة لنا . رغم انتقاله الى الرفيق الأعلى ، بما نعلم من سيرته العطرة التى حفظها الله سبحانه كما حفظ سنته استكمالا لحفظ الوحى الكريم : « **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » (١)

ونحن مطالبون فى مجال القدوة أن نقدم دائما النموذج العملي خاصة ممن يدعى الدعوة أو يزعم التربية والا صح فينا قول الله سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** » (٢) .

وفى مكان آخر تحدثنا عن القوة باعتبارها مكملة للقدوة ... لكننا نحسبها جزءا منها ، فالقدوة الصالحة فيها عنصر القوة التى تحدثنا عنها : قوة العقيدة ، قوة الخلق ، قوة الساعد .

والمثل الذى ضربناه من سيرة رسول الله ﷺ لما صرع أحد الكفار فكان ذلك سببا لدخوله الاسلام ، هذا المثل جزء من سيرة رسول الله ﷺ التى لا تزال تمثل القدوة والأسوة برغم انتقاله - ﷺ - الى الرفيق الأعلى ..

---

(١) الحجر : ٩

(٢) الصف : ٢ ، ٣

٢ ـ الحوار :

جاء الحديث عن الحوار فى القرآن : مرة بلفظ الجدال · ومرة بلفظ التحاج أو المحاجة · وثالثة بلفظ المراء ·

والأصل فى الجدال والمحاجة أو المراء أنه مذموم ومحظور ، لوروده فى أكثر الآيات وصفا للكفار أو للذين لا يتقبلون أوامر الله ·

لكن القرآن أباح لونا من الحوار وصفه مرة بأنه « أحسن » وأخرى بأنه « عن علم » وثالثة بأنه « ظاهر » ·

أما الاولى ـ فقوله تعالى : « **ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن** » (٣) ·

« **وجادلهم بالتى هى أحسن** » (٤) ·

وأما الثانية ـ فقوله تعالى : « **ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** » (٥) فقد أنكر الثانية لكنه لم ينكر الأولى ·

وأما الثالثة ـ فقوله تعالى : « **فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا** » (٦)

ودلت نماذج القرآن فى حوار الكفار سواء بطريق مباشر

---

(٣) العنكبوت : ٤٦ (٤) النحل : ١٢٥ ·
(٥) آل عمران : ٦٦ · (٦) الكهف : ٢٢ ·

أو بلسان الأنبياء دلت على جواز لون من الحوار هو الذى سبق لنا وصفه ٠

والحديث عن الحوار يطول وله مكان آخر (٧) ٠

لكننا فى مجال التربية قد نحتاج للحوار للاقناع بالاستجابة ، ولنتم تزكية العقل مع تزكية القلب وليكون الأمر الثالث « تعلم الكتاب والحكمة » ٠

واستعمال الحوار فى مجال التربية ينبغى أن يكون بقدر حتى لا يؤدى الى النفور ٠

والافحام الذى هو فى مجال الجدال أو المناظرة ليس هدفا فى مجال التربية لكن الاقناع أو الاقتناع قد يكون هدفا ، وقد يكون الحوار أحد الأساليب المؤدية اليه ٠

وفى أمثلة الحوار فى القرآن ، وفى السنة ، وفى السيرة ، وفى مجال تاريخ السلف الصالح ما قد يكون نورا ٠ على هذا السبيل والله المستعان (٨) ٠

---

(٧) عالجناه فى علم مستقل « أصول الحوار والمناظرة » ، وفى بحث أساليب الدعوة ٠ كتاب « مناهج الدعوة وأساليبها » تحت الطبع ٠

(٨) راجع ذلك فى المرجعين السابقين ، ونندب الى معرفة حوار ابن عباس مع الخوارج حوار أبى خازم مع سليمان بن عبد الملك ٠

٣ ـ الحكمة والموعظة الحسنة :

تقدم الحديث عن الحكمة كأساس عملى للتربية .

والآن نتحدث عنها كأسلوب من أساليب التربية . وفى مكان آخر تحدثنا بشىء من التفصيل عن الأمرين (٩) .

وفضلنا أن تكون الموعظة الحسنة هى حكمة القول ، وأن تكون الحكمة أشمل من ذلك لتشمل حكمة السلوك وحكمة الموقف .

أما حكمة السلوك فقدمنا لها من سورة الاسراء اثنى عشر أمرا ونهيا تنتهى بقوله تعالى : « **ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ..** » (١٠) .

ومن سورة لقمان تسع وصايا تقدمها قول الله : « **ولقد آتينا لقمان الحكمة** » (١١) .

وأما حكمة المواقف ، أو مواقف الحكمة ، فقد أشرنا الى موقف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من أبيه وخطابه له ، وموقفه من الكفار والأصنام ، وموقفه من النمرود ، وموقفه من الكواكب .. ثم نقلنا الى خاتم الأنبياء ﷺ لنشير الى موقف الصبر والحكمة فى « مكة » ، وموقف الجهاد فى « المدينة المنورة » والى موقف السماحة والعفو حين دخل منتصرا الى « مكة » .

---

(٩) مناهج الدعوة وأساليبها ..

(١٠) الاسراء : ٣٩ . (١١) لقمان : ١٢

ومن تاريخ الصحابة والتابعيين أشرنا الى مواقف لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى فيها من الحكمة الكثير ٠

وبرغم أننا جعلنا الموعظة الحسنة من حكمة القول ، فاننا نشير الى ما فى الموعظة من نصح وتذكير يرقق القلب ٠ والقرآن ملىء بأنواع المواعظ الحسنة :

فمنها ما هو تخويف وتحذير كخطاب نوح وهود وصالح لقومه فى سورة هود ٠

ومنها ما يرقق القلب تذكيرا بالآخرة وتذكيرا بما يؤدى اليها من موت ونشور ومن غير ذلك ٠ والله أعلم ٠٠

٤ ـ القصة :

وقد سبق الحديث عنها عندما قدمنا نماذج من سورة يوسف عليه السلام وقد تكررت القصة فى القرآن الكريم وهى بالدرجة الأولى للتربية وأثرها أبعد من أساليب أخرى وهى كما تستهوى الصغار تستهوى كذلك الكبار حتى عد علماء الخطابة من بين وسائل التأثير ودفع الملل استعمال القصة : « **ويضرب الله الأمثال** » (١٢) ٠

٥ ـ الحدث :

وقد تقدم الحديث عنه ٠ والحدث بلا شك له أثره فيمن لا يتأثر

---

(١٢) ابراهيم : ٢٥ ، والنور : ٣٥ ٠

بالوسائل السابقة والمهم فى المربى أن يحسن استخدام الحدث للتربية ، ليتلافى الآثار التسلبية التى يمكن أن يتركها ..

فمثلا يمكن اذا وقعت هزيمة بجيش أو أمة أن يوجهه أو يوجهها قادتها ، الى أن ذلك كان نتيجة البعد عن الله ، ثم الاقلال من الاعداد، وأن يوجهونهم الى حسن الصلة بالله ثم الى حسن اتخاذ الاسباب **« أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ، قل هو من عند أنفسكم ، ان الله على كل شيء قدير ° وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين • وليعلم الذين نافقوا ...»** (١٣)

« ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » (١٤) .

والنماذج كثيرة فى كتاب الله ، وفى تاريخ الأمة الاسلامية .

* * *

---

(١٣) آل عمران : ١٦٥ ـ ١٦٧ .
(١٤) التوبة : ٢٥ .

خاتمة

● حاولنا أن نرسم خيوط أو خطوط نظرية اسلامية للتربية ٠
فعرفنا أن الاستجابة لله وللرسول خطها الأول ٠

وأن التزكية للعقيدة والأخلاق والتعبد والمعاملة خطها الثانى ٠

وأن تعلم الكتاب والحكمة ٠ خطها الثالث ٠

وعرفنا من قبل أنا نخاطب بهذا قومنا المسلمين ، وانهم ـ وان قصروا ـ قد ثبت لهم الاسلام بشهادة أن لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، وأن ما يقع فيه البعض ـ عن اخلاص فى أكثر الأحيان ـ من وصف لمجتمعاتنا بالكفر أو الجاهلية انما هى أوصاف بعيدة عن التكييف الشرعى الدقيق ، فضلا عما فيها من مجافاة لأسلوب الدعوة وأسلوب التربية ٠

ثم عرضنا لوسائل التربية الصحيحة وأساليبها السليمة ٠

***

● ولقد نعلم من ذلك أن التربية الاسلامية اذ تستمد من الكتاب والسنة ، واذ تهدف الى رضا الله سبحانه٠٠فهى تربية ربانية٠٠ومن هنا تستمد نورها ، وتستمد فضلها على غيرها من ألوان التربية ٠
ـ بيد أنها مع ربانيتها ٠٠ واقعية ٠٠ اذ تتنزل الى أرض

الواقع فتدرس حالة الأفراد والشعوب ، وتختار لهـا من الوسائل والأساليب ما يناسبها ، بيد أنها تحاول من خلال ذلك أن ترتفع بها الى المثال •

ــ وهى كما يظهر متوازنة ، ترعى الضرورات والحاجات بينما تسمو الى الأشواق ، فتدرك حقيقة الانســان أنه قبضة من طين ونفخة من روح ، فتصل الأرض بالسماء ، وتربط الدنيا بالآخرة •• دون ما افراط ولا تفريط •

ــ وهى فردية جماعية •• ترعى الفرد كلبنة ، لكنها تجعله جزءا من جسد تسرى فيه روح الاسلام ، وتجمعه مصلحة هذا الدين •

ــ ويظهر شمول الاسلام فى مجال التربية •• سواء فى شمولها للانسان •• قلبه وعقله وجسده أو فى شمولها للعقيدة والأخــلاق والتعبد والمعاملات ، وفى النهاية شمولها للفرد والأسرة والمجتمع !

* * *

● أما أهداف التربية الاسلامية •

فيظهر بادىء ذى بدء أنها تكوين •• الفرد المسلم ، والبيت المسلم ، والمجتمع المسلم ، بلوغا لهدف الاسلام من اقامة دولته ، وجعل أمته شاهدة على العالمين •• بيد أن هدفا أسمى يسبق ذلك ويتلو ذلك •• هو الله •• الله غايتنا •• فى كل عمل ، وفى كل منهج ،

وفى كل حال ·· نتعبده بخطرة الفكر ، ونبضة القلب ، وحركة البنان **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين · لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » (١) ·**

* * *

تلك كلماتنا عن التربية ··

نسأل الله أن نكون قد وفقنا فيها ·· كما نسأله أن ينفع الله بها أمتنا فى مرحلة التكوين التى تمر بها بلوغا الى التمكين بمشيئة الله (٢) ·

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ·



---

(١) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) راجع « دعوة الله بين التكوين والتمكين » للمؤلف ·

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الباب الثانى : أصول التربية الاسلامية

(٥٥ ــ ١٦٨)

الصفحة

الصفحة

رقم الايداع ٨٦/٣٩٨١
الترقيم الدولى ١ ــ ٧٥ ــ ٣٠٧ ــ ٩٧٧